

# جَمْر

وليد عثمان

رواية



# جَمْر

وليد عثمان



سفايتا  
SEFSafa PUBLISHING HOUSE  
WWW.SEFSafa.NET

وليد عثمان / كاتب وصحفي مصري من مواليد الدلتا (قرية دَمُرو بمحافظة الغربية) 1975، حصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة القاهرة 1993، وعمل في الصحافة المصرية والعربية لنحو ثلاثين عامًا حتى أصبح رئيس قسم المنوعات في جريدة "الخليج" الإماراتية، وهو يعيش ويعمل حاليًا في دولة الإمارات.

جُمُر

طبعة 2021

رقم الإيداع: 2020/19283

الترقيم الدولي: 978-977-821-173-3

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any form or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار صنفاعة.



دار صنفاعة للنشر والتوزيع والدراسات

5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

## بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،  
إدارة الشؤون الفنية

عثمان، وليد

جَمْر: رواية/ وليد عثمان،

الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٠

٢٥٢ ص، ٢٠ سم

تدمك ٣-١٧٣-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص التاريخية

٢- القصص العربية

٣- السياسة في الأدب

أ- العنوان

٨١٣، ٨٧١

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٩٢٨٣

## الإهداء

---

إلى «ستي سعدة» التي ألقنتني إلى شيطان الحكايات..  
وهند ويوسف وهيا وآدم، أجمل حكاياتي  
إلى «فرح»، عمري الذي لم أعشه، وجمري الذي أعيشه.

\*\*\*

عليًا الطلاق اللي حصل ده لو اتكرر ما هيكفيني رقابيهم،  
واللي هيتعرض لي منهم هقطّعه بالفاس حتت وأرميها للكلاب.

هكذا انطلق عبد السلام بأعلى درجات صوته بعد أن كتم غيظه  
ساعات بمجرد أن سأله العمدة حسين عما جرى بعد صلاة العيد.

لم يكن العمدة حسين معنيًا كثيرًا بما يجري في الكفر، بل ربما  
نسي أصلًا أنه عمدة، ولم يُذكره بذلك إلا اتصال النقيب حازم،  
ضابط النقطة، الذي انتهى بتكليفه بحل مشكلة عبد السلام، لأنه  
لا يريد وجع دماغ في شهره الأول في الكفر.

وبهذا التكليف عادت الروح إلى دوّار العمدة، ذلك المبنى الذي  
ارتفع الشارع في غفلة منه إلى مستوى تجاوز عتبه القديمة  
وغطى الغبار بابه ونافذتيه.

كان ما جرى في الصباح حديث الكفر، لكن العمدة الذي لم يبق  
له من المنصب إلا اسمه منذ أن أنشئت نقطة شرطة، لم يعلم به  
إلا من اتصال الضابط، الذي لم يستعرض معه التفاصيل.

ما فهمه العمدة أن مشكلة جرت بعد صلاة العيد بين عبد  
السلام وأفراد من جماعة «الإخوان».

أرسل العمدة إلى عبد السلام يطلب حضوره إلى الدوّار بعد

صلاة العصر. ما إن انتهت الصلاة همَّ عبد السلام بالخروج عَجلاً  
زاهباً إلى الدوار. ناداه فتحي بعد أن تجاوزا باب المسجد فتمهل.

سأله فتحي عن سبب عجلته فأخبره بأمر استدعاء العمدة.

كان صديقهما حامد الذي لحق بهما منشغلاً بتمتات ختام  
الصلاة، لكنه قطعها محاولاً أن يفهم الموضوع.

- إيه المناسبة يعني؟ العمدة في الأيام العادية مش فاضي لحد  
وغرقان في تجارته وعمارته اللي بيبيها في المحلة، جاي يوم  
العيد ويفتكر واحد مننا.

قدم فتحي مبرراً يؤكد به تضاًؤل دور العمدة في حياة الكفر:

- أكيد حد بلغه بالمشكلة وعايز يتسلى شوية في العصري  
ويعرف التفاصيل.

تنهد عبد السلام الذي بقي متأثراً بالمشكلة وقدم لصديقيه  
بعضاً مما يشفي غليل فضولهما:

- هنشوف عايز إيه، وبالمرّة بعد ما أقابله أعدي على الظابط  
أشوف عمل إيه في البلاغ.

- بلاغ إيه؟ أنت رحت النقطة؟

- أيوه

- إمتي؟ دا أنا وصلتك لغاية دارك.

- أنت مشيت من هنا وأنا طلعت وراك رححت النقطة، لازم آخذ حقي.

- يا دماغك الناشفة، ما المشكلة خلصت والناس اللي واقفة قالتك حقك علينا. فضّها سيرة بقى وما تكبرش الموضوع واحمد ربنا إن وحيد ابنك ماجاش من مصر، كان عمل مشكلة معاهم.

وكان فتحي نكأ جراح عبد السلام بذكره غياب وحيد عنه في العيد لأول مرة منذ ولادته. لمعت في عينه دمعة أشعرت فتحي بالندم على فتح الموضوع، فحاول أن يهون من وطأة الأمر على صديقه:

- جرى إيه يا جدع، ابنك كبر وبدأ يشتغل وربنا كرمه في سكة التليفزيون دي، ادعي له وأهي كلها يومين وييجي.

أدرك حامد أن صديقة المعروف بصلابته سينهار بفتح موضوع وحيد، وأن الدمعة التي راوغته وسالت ستتبعها دموع أخرى، فأثر أن ينهي الموقف:

- إحنا هنقف هنا والعمدة مستنيك؟ يلا نروح له.

اقترح فتحي أن يذهب عبد السلام وحده إلى العمدة ثم يروي لهما التفاصيل بعد عودته، لكن حامد لم يشأ أن يتركه وحده بعدما هيّج فتحي موضوع غياب وحيد.

لم يكن عبد السلام في حاجة إلى من يذكره حزنه على غياب

ولده الوحيد عن البيت في العيد، حزن كلما حاول قهره بحديثه إلى نفسه عن أن وحيد بدأ يبني مستقبله، زاده امتناع أم وحيد عن الطعام متعلقة بأنها طالعة من صيام رمضان ولا تريد أن تترك معدتها.

كان حامد يعلم أن ترك عبد السلام وحده في الطريق إلى العمدة سيجعله نهباً للتفكير في ابنه الغائب فيضيق صدره، وربما يصادف أحداً من «الإخوان» فتتجدد المشكلة.

عرض حامد على عبد السلام أن يصحبه وفتحي إلى العمدة ثم إلى النقطة ليروا إلى أين انتهى الموضوع، ولم يرد عبد السلام رفضاً أو قبولاً، لكن فتحي أيد الفكرة، فانطلق الثلاثة إلى الدوّار.

\*\*\*

أراح الضابط نفسه من الموضوع، فما لديه أهم. صحيح أن «الإخوان» طرف في المشكلة، لكنه في النهاية «عيل» منهم آثار أزمة مع فلاح وانتهت بتدخل الحضور، وهو لم يأتِ إلى الكفر للانفعال بحوادث صغيرة، فانتخابات مجلس الشعب تقترب والجماعة لها حضور جيد في الكفر تخطف به منذ دورتين مقعداً في المجلس وتترك الآخر بالاتفاق مع الحزب الوطني لمرشحه.

حاول الأمن أن يستعيد المقعد لمرشح من الحزب أو لشخص مستقل يُجبر على الانضمام إليه بعد فوزه، لكن الجماعة كانت متشبثة به وتحصّنه بمزيد من المساعدات المستمرة للفقراء والأيتام واجتذاب الطلاب صغار السن إلى أنشطتها التي تربى من خلالها أجيالاً جديدة موالية لها، في حين أن نائب الحزب الوطني يختفي بعد أيام من إعلان فوزه ولا يظهر إلا مجاملاً لكبار العائلات فقط، في أفراحها ومآتمها.

كان نائب الجماعة يثبّت أقدامه مع مرور الوقت، فهو من القرية وإخوانه مزارعون لم يزد عليهم في الظاهر شيء منذ دخوله المجلس إلا بناء بيئهم بالطوب الأحمر والسيارة الصغيرة التي يركبها وبدلتان يحضر بهما الجلسات.

وعلى بساطته، آثار ما زاد على الأستاذ مجدي وأسرته أسئلة

بعض أهل الكفر عن مصدره، خاصة أن الأسرة رقيقة الحال لم ترث عن أبيها إلا عدة قراريط.

وكان أفراد الجماعة جاهزين للرد الموحد: هو سيادة النائب مش بياخذ مكافآت للجلسات؟ وبعدين شكله أما يبقى محترم ما هو للكفر، مش هو بيمثلنا؟ الأولى تسألوا نائب الحزب الوطني ملايينه بتيجي منين.

كانت الأسئلة تغيب وتظهر، لكنها لم تمنع تقدم مجدي الواضح في حصد الأصوات مستفيداً من أنه ابن الكفر، بينما نائب الحزب من قرية مجاورة، ومن مساعدات لا تنقطع للفقراء وأيتام يشاركون في «مقرأة» في المسجد أو مباريات أسبوعية بمجرد أن يلتحقوا بالمرحلة الإعدادية.

كانت المباريات تبدأ بعد صلاة الفجر والحكم دائماً «الأخ محمود» الجاهز عقب كل مقرأة أو مباراة لخطبة قصيرة عن الأخلاق والأخوة والالتزام والأمة الإسلامية التي يجب أن تفيق من سباتها لتحرر أراضيها ومقدساتها.

كانت العناصر المهيأة للحاق بركب الجماعة تزيد سنوياً في كشوف يجهزها «الأخ محمود» الذي فاجأ الشباب المحتشدين حوله في المسجد بعد العشاء ليلة العيد بأن صلاته ستكون في الخلاء إحياء لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

في اليوم الثاني كان الكفر كله على علم بموضوع الصلاة في

الخلاء، فكل شاب نقل التكليف إلى أسرته، وتناقل الأهالي الخبر الذي استغربه بعضهم، وكان منهم عبد السلام ورأى أن يخبر وحيد به قبل أن يأتي في إجازة العيد.

انتظر عبد السلام مكالمة وحيد اليومية قبل الإفطار ليطمئن على أبنويه ويطمئنا عليه.

- سمعت بأخر اختراعات «الإخوان»؟

- إيه يا حاج، خير؟

- بيقولوا هيصلوا العيد في الخلاء وبيجهزوا الملعب.

- عادي يا حاج، صلاة العيد في الخلاء من السنن المتروكة.

- إزاي يعني؟

- يعني الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان بيصلي العيد في الخلاء بس الناس تعودت على صلاته في الجامع.

- ما دام سنة يا بني عادي، نصلي في الخلاء بقى أنا وأنت.

- لا يا حاج، أنا كنت لسه هقولك مش جاي في العيد.

بهت عبد السلام وصمت للحظات، ووحيد على الطرف الآخر يعرف صعوبة ما قاله على أبيه.

هذه هي المرة التي لا يعود فيها إلى الكفر في العيد منذ انتقل

إلى الدراسة في القاهرة. كان يعلم مخاوف أبيه التي عبّر عنها عند التحاقه بالعمل في قناة «المدى» من أن ينساه وأمه في غمره انشغاله بعالمه الجديد.

قطع وحيد الصمت وهو يعلم ما في نفس أبيه:

- ماتزعلش يا حاج والله غصب عني، وأنت عارف الشغل ومفيش فضائيات بتأخذ إجازات في العيد، معلش.

- ماشي يا بني، بس يعني كنت جيت صليت العيد معانا وفطرت ومشيت. من مصر للمحلة ثلاث أربع ساعات رايح جاي.

- على عيني يا حاج والله.

- ماشي يا بني، خد أمك بقى اتصرف معاها.

التقطت أم وحيد السماعة جزعة بعدما فهمت من الحوار وهي تنتقل بين المطبخ والصالة لتجهيز الإفطار أنه لن يأتي.

- خير يا ضنايا، فيك إيه؟

- خير يا حاجة، معلش العيد فيه زحمة شغل ومش عارف أجي.

- ده اللي ها ناخده من التليفزيونات من أولها يا بني؟

- معلش يا حاجة، شغل، ادعي لي بس.

- ربنا ينجح مقاصدك يا بني، بدعيلك بعد كل صلاة يحبب فيك خلقه ويحميك أنت واللي زيك ويجعل لك في كل خطوة سلامة.

- كفاية عليّ الدعوتين دُول يا أمي، بس ما تضحكوش علي وتخلصوا الأكل.

- والنبي يا بني ما دوقه إلا وأنت معايا، ده أبوك شاري فسيخ ورنجة وسمك من امبارح وكل شوية يقول لي جهزيه عشان وحيد ياكل زمانه متبهدل لوحده وما بياكلش لقمة عدلة.

- أنا باكل يامه بس انتوا خلوا بالكم من نفسكم.

- حاضر يا ضنايا، ما تتأخرش، تيجي بالسلامة.

- الله يسلمك يا أمه، مع السلامة.

أشار عبد السلام إلى زوجته طالباً أن تعطيه السماعه فطلبت من وحيد أن يتحدث ثانية إلى أبيه.

- أيوه يا بني، ماتتأخرش الله يكرمك.

- حاضر يا حاج.

- وبالنسبه لموضوع الخلا ده، أروح يا بني ولا لأ؟

- روح يا حاج، عادي.

- ماشي يا بني، بسلامة الله.

أعاد عبد السلام السماعة إلى موضعها، وبدأ ضيقه جلياً لزوجته التي تعرف مدى حبه لابنه الوحيد وخوفه من أن تغويه حياة القاهرة فينسى أهله.

أرادت أن تخفف عنه، وهي أكثر منه حزناً. كانت تدرك ضعف قلبه إذا تعلق الأمر بوحيد، صحيح أنه رجل عنيد وصريح مع الجميع، ولا يخاف تبعات ذلك، لكنه يشعر بضعفه أمام ابنه ولا يفلح في إخفاء ذلك، وبعد كل مرة يودعه فيها إلى القاهرة يبكي كطفل غاب عنه أبوه وتركه وسط الزحام.

وحيد يحمل اسم عمه الذي مات شاباً وترك أخاه الأكبر عبد السلام وأبوين ماتا متعاقبين حسرة على الابن الذي كان فرغ من التجنيد ويستعد للزواج.

أحيا عبد السلام ذكرى أخيه بتسميته ابنه وحيد وندم غير مرة لأنه قيّد نفسه وابنه بحزنه على الراحل، بل قال لنفسه مرة إنه كتب على ابنه الموت شاباً مثل عمه ثم استعاذ بالله من وسوسة الشيطان. وكان قراره ألا ينجب غير وحيد مثار دهشة في الكفر الذي يعرف أهله بكثرة أولادهم، ومبعث غضب زوجته لكنه تلاشى مع تفهمهما لشعور زوجها.

اقتربت أم وحيد من زوجها وخاطبته برفق: خلاص المغرب هياذن، هتفضل واقف جنب التليفون يا عبد السلام، يلا عشان نفطر.

جلسا حول الطبلية ولم يقربا غير الماء وحبّات تمر.

صلى عبد السلام المغرب في المسجد وعاد مسرعاً إلى الدار، فوجد زوجته نائمة فاستلقى إلى جوارها ولم يوقظه بعد صلاة الفجر إلا صوت يأتي من ميكرفون فوق سيارة أسفل الشباك يدعو الناس إلى ركوب سيارات تنقلهم إلى الخلاء حيث يصلون العيد.

\*\*\*

قابل عبد السلام فتحي وحامد على ناصية الشارع، سألاه عن غيابه عن صلاة الفجر، فأخبرهما بأنه حتى لم يصل العشاء ونام فور عودته من صلاة المغرب.

بانت علامات الاستغراب على وجه حامد وسأل عبد السلام ممازحًا: مش عوايدك يعني، ده أنت رجل بتاع سهر الليالي، إيه اللي جرى؟

تنهد عبد السلام تنهيدة طويلة كأنما يحاول إلقاء جزء من همه بين أيدي صديقيه، فبادره فتحي بالسؤال: خير يا حاج، ما معكش فلوس ولا إيه؟

انفجرت شفتا عبد السلام عن ابتسامة خاطفة ولم ينطق بشيء.

تحول استغراب حامد إلى قلق على قريبه وصديقه وسأله: خير يا عبد السلام، أم وحيد فيها حاجة؟

- لا وحيد اللي فيه.

- ماله كفى الله الشر؟

نظر عبد السلام بعيداً وقاوم دمعة كادت تخونه، ثم قصّ على

صديقه موضوع مكالمة وحيد التي يبلغه فيها بغيا به في العيد.

ربت حامد على كتفه وحاول أن يخفف ما يعلمه من ضيق صديقه المتعلق بولده الوحيد:

- ربنا يصلح حاله يا عبد السلام، ما دام في شغله خلاص ادعي له، وبعدين هو مين فيكم الابن ومين الأب؟ أنت محسني أنك يتيم في يوم العيد.

كأنما دلّ حامد صديقه على معنى ما يعتمل في داخله منذ وقت المكالمة، هو اليتيم إذا الذي يشعر به، لكن كيف لأب أن يحس به إذا غاب ولده؟

هل هي مقدمة لانتهاه أسطورة صلابته وعنايه اللذين يشتهر بهما رغم طبيته؟ هل يمكن أن يتحول حبه لابنه وخوفه عليه إلى شعور بالضعف؟

دارت الأسئلة في ذهن عبد السلام وأخذته بعيداً فلم يدرك ما قاله فتحي وحامد ولا سمع شيئاً من عباراتهما المهُوَّنة.

أدرك حامد أن عبد السلام شارد، فلكرهه في زراعة سائلاً إياه أن يركب في صندوق سيارة توقفت أمامهم لتنقلهم إلى مكان صلاة العيد.

لم تكد أجسادهم تستقر في السيارة حتى وصلت إلى وجهتها: ملعب القرية الذي سهر شباب «الإخوان» في تنظيفه وفرشه

بالحصير لاستقبال المصلين.

غادروا السيارة قاصدين موضعاً رأوه فارغاً بين صفين من الشباب وضع كل منهم على صدره عبارة «لجنة الاستقبال». هم شباب من القرية، لكنهم معروفون بتبعيتهم للجماعة، يسميهم البعض «السُّنية» والبعض الآخر «بتوع الدقون»، لكنهم في كل الأحوال يبدوون في أحيان كبيرة متشابهين في حركاتهم وتصرفاتهم، حتى تخيل البعض أنهم شخص واحد انقسم إلى عشرات.

سأل بعضهم عبد السلام عن وحيد فأخبرهم عجباً بعدم تمكنه من الحضور، وقصد مع صديقيه مواضعهم بين المصلين.



انقضت الصلاة وقام الاستاذ مجدي عضو مجلس الشعب يخطب في الحضور وشباب الجماعة يجاهدون لإسكات الأطفال المتعجلين بإخراج هدايا وعدهم بها أعضاء «لجنة الاستقبال» قبل الصلاة.

انتهى مجدي من حديثه الذي هنا فيه الحضور بالعيد وتطرق إلى المناسبة السعيدة وأهمية استمرار الاستمساك بأخلاق

رمضان والوحدة بين المسلمين، ثم دار على الصفوف مصافحاً،  
فإذا وجد طفلاً بجوار أبيه انحنى مقبلاً له ماسحاً على رأسه.

نهض عبد السلام وفتحي وحامد خارجين من الملعب، سلموا  
على كل من يقابلهم وهم يتحركون في طريقهم إلى المقابر التي  
لا تبعد أكثر من كيلومتر واحد عن المكان.

ما إن بلغوا بداية طريق المقابر حتى انبرى لهم شاب يضع  
على صدره هذه المرة علامة «لجنة التنظيم» وسألهم: على فين  
يا رجالة؟

لم يكن الشاب، وهو من أقارب مجدي، وحده الواقف على هذه  
الهيئة، فخلفه خمسة في مثل سنه بدا قائداً لهم وهم يقفون  
متشابكي الأيدي يسدون الطريق.

سأله عبد السلام: فيه إيه يا بني؟ مالكم واقفين كده ليه؟  
وبتسألوا ليه رايحين فين؟

عاجله الشاب بالرد: عشان ممنوع حد يمشي في الطريق ده  
النهارده.

- يعني إيه ممنوع؟

- لأن كل البلد هتيجي دلوقت بعد الصلاة لزيارة المقابر وإحنا  
عايزين نمنع ده.

لم يكن أحد مستوعباً هذا المشهد الغريب على تقاليد القرية،

وبدأت الأعداد تزداد وشباب من «لجنة الاستقبال» ينضمون إلى زملائهم الواقفين على أول الطريق، وكلما وصلت مجموعة من أهل القرية سألت عما يجري ويعيد الشاب الواقف أمام زملائه في موضع القائد تكرر جملته بنفس الغلظة والاندفاع: «ممنوع حد يمشي في الطريق النهارده».

فرغ صبر عبد السلام وصديقيه وكانا في مواجهة الشاب مباشرة، وخشي حامد من رد فعل عبد السلام فتدخل متحدثاً إلى الشاب.

- يعني إيه ممنوع يا بني؟ ومين اللي قالكم تقفوا هنا؟

وتولى الرد هذه المرة شاب من لجنة الاستقبال:

- العيد يوم فرحة يا عم الحاج، ولا تجوز فيه زيارة المقابر، عشان كده بنمنعكم.

لم يحتمل عبد السلام أكثر من ذلك فصاح فيهم: لا يجوز إيه وزفت إيه، وانتوا مين يا بني عشان تمنعوا؟ وسعوا بلاش لعب عيال.

تحرك عبد السلام خطوات محاولاً اختراق الصف البشري الذي يقف الشباب الخمسة فيه كالجنود ولا ينطقون ولا يتدخلون في ما يجري.

بمجرد أن تحرك، ضيق الشباب الخمسة المسافات في ما بينهم

ليصدوه ومد قائدهم الشاب يده وجذبه من جلبابه.

عندها، انتهى صبر عبد السلام فدفع الثلاثة الواقفين في قلب الصف فكسره واستدار للشاب الذي جذبه من الجلباب قائلاً: والله لو ما إحنا في يوم مفترج لكنت خلعت الجزمة وضربتك بيها على خلقتك يا بهيم.

حاول الشاب أن يرد فوجد يداً للأخ محمود على فمه والأخرى تشده إلى الخلف ليغيب عن وجه عبد السلام.

اقترب محمود من عبد السلام ومد يده للسلم عليه ثم قبّل رأسه وسط جلبة بدأت تتصاعد بين الجموع التي تقاطرت لزيارة المقابر.

سأل عبد السلام:

- إيه اللي بيحصل ده يا محمود؟ ومين اللي موقف العيال دي هنا؟

اصطنع محمود ابتسامة وأعاد تقبيل رأس عبد السلام قبل أن يقول له: معلى يا أبو وحيد: شباب صغيرين، اعتبرهم ولادك وفهموا غلط.

اقترب منه حامد سائلاً:

- النطوع دُول صغيرين؟ وفهموا إيه غلط يا محمود؟

اتسعت مساحة ابتسامة محمود المصطنعة ومد يده للسلام  
على حامد وقبّل رأسه أيضاً متأسفاً ثم علا صوته:

- آسفين يا اخوانا حقكم عليّ، والطريق مفتوح أهو.

لم يكن أسف محمود يعني شيئاً للوجوه التي كساها الضيق،  
ولولا وصوله لافترست شباب الجماعة، لكن أحداً لم يلحق به ما  
لحق بعبد السلام، فمضوا في طريقهم إلى المقابر ولم يتحرك هو  
إلا بعد أن أقسم لمحمود أن الموضوع لن يمر بسلام.

\*\*\*

كان عبد السلام وصاحبه أول الواصلين إلى الدوّار، المبنى كالعمدة تمامًا، بقايا زمن ولّي، جدرانه من الطوب اللبن، والقش المستلقي فوق سقفه الخشبي باهت، إذ لم يتغير منذ سنوات.

آه لو نطقت هذه الجدران الشاهدة على آلاف من جلسات الصلح بين عائلات متنافسة، وتجار مختلفين، وأزواج متخاصمين.

كل ما تبقى من مجد عائلة تتوارث «العمودية» منذ عقود ذلك المبنى الشاذ عن محيطه المنطلق بسرعة إلى المدنية، بينما يقبع هو في قروية بالية.

سَلَّمَ عبد السلام وفتحي وحامد على الخفير الجالس أمام باب الدوّار في كسل فأدخلهم إلى ساحته ثم دلف إلى حجرة صغيرة يعدّ لهم شايًا على موقد كيروسين قديم.

بعد دقائق لحق بهم النائب مجدي مصطحبًا الشاب الذي تسبب في المشكلة ووالده.

وقف فتحي وحامد للسلام عليهم، بينما بقي عبد السلام جالسًا،

وعندما وصلوا إليه أشاح بوجهه الغاضب، فانحنى مجدي محاولاً تقبيل رأسه لكنه أبعدهما سريعاً.

أخذ الشاب ووالده مجلسيهما، وظل مجدي واقفاً أمام عبد السلام ماداً يده من غير أن يلقي رداً، لكنه أصر على أن ينهي المشكلة قبل مجيء العمدة فأخذ يحدث عبد السلام عن أن العيد يوم فرحة لا مجال فيه للتباغض والخلاف، فقاطعة بحدة: وفرّ كلامك يا أستاذ لجماعتك اللي نغصت علينا اليوم وقلت أدبها، مش ناقصين خطب..

نهض الشاب من مجلسه وجذب يد الأستاذ مجدي داعياً إياه إلى الجلوس قبل أن يقول لعبد السلام:

إحنا مش ناقصين أدب، ومش جايبين نترجى فيك، إنما احتراماً للعمدة، ولو ما طلبناش ولا كنا عبرناك..

زادت حدة عبد السلام ووزع نظراته الغاضبة بين الشاب وأبيه قائلاً:

لا أنت كده قليل الأدب بجد، ولو مش أبوك قاعد كنت قمت لطشتك على وشك، لأنك ناقص تربية، والعيب على أبوك..

حاول الأب أن يتدخل مدافعاً عن نفسه وكاد المجلس يتحول إلى ساحة للعراك لولا أن دخل العمدة فالتزم الجميع الصمت وقاموا لاستقباله والسلام عليه.

ذهب العمدة مباشرة إلى صدر المجلس ثم دعاهم إلى الجلوس.  
بادر العمدة بالحديث:

صلوا على النبي يا جماعة، كل عام وأنتم طيبين..

أجابوه بالصلاة والتسليم علي النبي ورد التهنة بالعيد، بينما  
دخل الخفير بصينيه الشاي ودار على الجميع مبتدئاً بالعمدة.

رشف العمدة رشفة من الشاي ثم وضع الكوب ناظرًا إلى  
عبد السلام.

- خير يا عبد السلام؟ زعلان ليه؟

وضع عبد السلام كوب الشاي قبل أن يمسه واستعاد حدته  
قاصًا كل ما جرى على طريق المقابر في الصباح وأقسم بالطلاق  
أنه لن يتنازل عن حقه...

حاول مجدي تهدئة الموقف قبل أن يقترب مجددًا من الاشتعال  
ورسم ابتسامة على وجهه مخاطبًا عبد السلام.

- خلاص يا حاج عبد السلام، امسحها فيّ أنا، وأنا والشاب  
الصغير وأبوه هنبوس رأسك يا سيدي، اعتبره وحيد يا حاج.

- وحيد مش قليل الأدب يا أستاذ مجدي.

فتدخل الشاب: ولا أنا.

رمقه عبد السلام بنظرة غاضبة طالبًا منه ألا يخاطبه ثانية،

وكرر مجدي الطلب أمراً الشاب بالصمت ما دام الكبار يتكلمون.  
وكأنه يعلم ما يعتمل في نفس عبد السلام، أعاد مجدي ذكر  
اسم وحيد:

ربنا يبارك لك في وحيد يا حاج ويوفقه في مستقبله وينفع به.  
لأن عبد السلام قليلاً وقال بصوت خافت: يا رب.

نجح مجدي في أن يحوّل مجرى الحديث ويجعل محوره وحيد  
وعمله الجديد ومستقبله حتى عاد عبد السلام إلى هدوئه فطلب  
مجدي من الشاب أن يقوم ليقبل رأسه.

تمنّع عبد السلام وحاول أن يباعد بينه وبين الشاب فألحّ عليه  
الجميع أن يدعه يقبل رأسه لتنتهي المشكلة، فاستجاب.

بدت علامات الارتياح على وجه مجدي، فالانتخابات القريبة لا  
تحتمل ما يشوش عليها، وكذلك شعر العمدة بسعادة استعادة  
هيبة منصبه، ولو لبعض الوقت وبرعاية ضابط النقطة.

دار الخفير بالشاي من جديد، فيما تفرع الحديث إلى حكايات  
أخرى تدور في الكفر حتى دعا المؤذن إلى صلاة المغرب فنفرق  
الجمع.

\*\*\*

بعد صلاة المغرب عاد عبد السلام إلى البيت فوجد أم وحيد على حالها حزينة على غياب ابنها في العيد وقلقة على زوجها الذي قضى اليوم في تبعات مشكلته مع شباب ”الإخوان“.

حين رأت عبد السلام سألته عما جرى فبدأ مرتاحًا؛ لأنه لم يترك حقه، لكن تأثره بغياب ابنه زاد عليه قلقه من أن يعلم بما جرى ففتجد حين يحضر المشكلة.

هوّنت عليه زوجته الأمر مؤكدة أن وحيد عاقل ولديه علاقات مع عدد من شباب ”الإخوان“ ورموزها في الكفر، والأهم أن الأمر انتهى، كما حكى لها، باعتذار مُرضٍ من نائب الجماعة نفسه وأمام العمدة أيضًا.

استقبل عبد السلام كلام زوجته بكثير من الرضا، بل وجدها فرصة لأن يقنعها بأن يتناولوا طعامًا نسيًا في الساعات الماضية، فنهضت إلى المطبخ.

عندما انتهيا من تناول الطعام، رن الهاتف وكان على الجانب الآخر وحيد.

حينما سمع عبد السلام زوجته تهتف في المتصل: أهلاً يا حبيبي، عامل إيه؟ وقضيت اليوم ازاي؟ وأكلت فين؟ أدرك أن ابنه علم بما جرى فأشار إليها أن تعطيه السماعه.

طمأن عبد السلام وحيد أن الموضوع انتهى وأنه حصل على حقه وأزيد، وسأله ألا يشغل باله وأن ينتبه إلى شؤونه حتى يعود.

بعد المكالمه، أبدت أم وحيد غضبها من صديقه يوسف، مؤكده أن لا أحد غيره سارع بإخباره بالمشكلة، وطالبت عبد السلام أن يعاتبه حين يلقاه في صلاة العشاء.

استأذنها خارجاً إلى المسجد، وفي الطريق إليه صادف يوسف فبادره بغضب مصطنع: كده يا سي يوسف، تبلغ صاحبك باللي حصل مع العيال بتوع «الإخوان» وتقلقه؟

أقسم يوسف وهما على باب المسجد إنه لم يتصل بوحيد حتى للتهنئة بالعيد حتى لا يخبره.

حار الأب وسأل بصوت هامس: عرف منين يعني؟ وجلس شاردًا بجوار يوسف ينتظران إقامة الصلاة.

\*\*\*

في مكتب صغير بقناة «المدى»، جلس وحيد بعد أن أدى صلاة العشاء وأمامه خطة تغطية ما تبقى من أيام العيد..

خريطة القناة ليست واسعة، وخطواتها متمهلة معظمها تروج لمشروعات صاحبها وأنشطته دون أن تفكر في منافسة القنوات الحكومية.

لذلك تعتمد القناة على مجموعة من الشباب حديثي التخرج لا يكلفون صاحبها أجورًا كبيرة وفي الوقت نفسه يضمنون له موطئ قدم في سوق الإعلام الذي كان راهن على أنه سيتوسع يوميًا ويتسع للقطاع الخاص، ورأى أن من الأفضل أن يحجز له موقعًا من الآن ولو كان صغيرًا.

يجد وحيد في القناة الصغيرة أيضًا نافذة يلج منها إلى هذا العالم، صحيح أن لا أحد يملك فيها خبرة كبيرة تفيده، لكنه يفضل التآني في خطاه بعيدًا عن هذا «المولد» الكبير الذي يمثله مبنى التلفزيون المصري الموزع بين عدة عائلات ولا أفق فيه.

لم يكن يعرف صاحب القناة، لكن زميله في كلية الإعلام وصديقه أحمد الهباش كان جسرًا لعلاقة بينهما.

الهباش كان في الكلية متعدد الأنشطة: ينظم رحلات، يصور محاضرات وكتبًا، يشم رائحة مشروعات الصحف التي تنجز في يوم وليلة فيشارك فيها. كل شيء بالنسبة له «سبوية» ما دام يعينه على توفير نفقاته ويغنيه عن طلب مصروف من أهله في المنصورة.

واحدة من هذه الصحف السريعة كانت لمحمود السبع الذي اهتدى إلى الهباش عن طريق موظف لديه في العلاقات العامة. وكانت الصحيفة نشرة تأييد غير مباشر لأحد أصدقاء السبع، وهو مرشح لمجلس الشعب في إحدى دوائر المنصورة.

بعدها، حين فكر السبع في افتتاح القناة سأل عن الهباش واستدعاه للعمل بها، فذهب ووحيد معه، وكانا تخرجا للتو.

لم يكن في تغطية الغد ثاني أيام العيد ما يحتاج إلى جهد من وحيد الذي يوزع نظره بين الأوراق وشاشة تعيد لقطات أداء محمود السبع صلاة العيد بين أهله وبلدياته في المنوفية وتوزيعه هدايا على الأطفال.

اللقطات تتكرر منذ وصلت القناة صباحًا بفجاجة، وزوايا التصوير تحاول بغير خبرة تقريب وجه الرجل أو تستوقف لمسات من يديه على رؤوس الصغار وهم يتخطفون الأكياس التي تحمل شعار «مجموعة شركات السبع».

ينتقل وجدان وحيد إلى الكفر ويستعيد مشاهد صلاة العيد وما

بعدها وتوزيع مجدي، نائب الإخوان في مجلس الشعب، البسمات والهدايا.

غاب لأول مرة عن هذه الطقوس التي كانت تجمعهم بأصدقائه في الكفر وتعوض غيابه عنهم للانشغال بالدراسة.

شعر بوخزة حنين إلى ملتقاهم عند «البحر»، كما يسمون التربة الكبيرة، والغداء الجماعي، وشاي «الراكية»، ونظراته المختلطة الخجلى إلى منى وهي تقف في انتظار مروره تحت شبك بيتها.

منى هي ابنة فتحي صديق والده، وما بينهما لم يتعدَّ النظرات لعامين، حتى حين تصارحا لم تكن الطريقة معتادة. كانت لهفتها وهي تراه في أول إجازة له من الجامعة تكفي لقول كل شيء.

كانت يومها تساعد أمه في المطبخ لإعداد كل ما يشتهييه بعد شهر من الغياب في جامعته بالقاهرة. تمنّت لو احتضنته بدلاً من أمه، ولم تستعد من شيطان رغبتها، بل بررتها في قرارة نفسها بأن لها فيه أكثر منها، أو على الأقل لا تقل لهفة عليه عنها.

بينما تحتضنه أمه، كانت نظراته إلى منى تبني بينهما جسراً من الاشتهااء. تمنّت أن يمضي اليوم سريعاً ليزور بيتها مع والديه، فأبوها أخبرها بقدمهم على العشاء.

تمنّت لو وجد وقتاً لتنفرد به في بيتهم بحجة مساعدتها في بعض دروسها كما اعتاد أن يفعل، وساعتها لن تبقى أسيرة حياتها ولن تتركه معتصماً بخجله وحرصه عليها وعلى العلاقة

التي تجمع الأسرتين.

هذه العلاقة هي كانت تجعله يتأخر في بيتهم ليلاً وهو يذاكر لها في المرحلتين الثانوية ثم الجامعية عندما كان يتواجد في الكفر، من غير أن يقلق والداها.

صحيح أن باباً لا يعلق عليهما، وأن أحداً من أبويها يتفقدهما كل فترة سائلاً إن كانا يحتاجان شيئاً، لكن الثقة فيه وحدها هي التي كانت ترحب بوجوده معها في أي وقت والكل مطمئن إلى أنه لن يتجاوز حداً معها.

حرصه الزائد ضيق مساحة البوح بينهما، لكن في النظرات والارتياح واللهفة ما أغناهما عن أي كلام.

اقتحم مشهد غرق وحيد في الكفر رنين هاتف المكتب. كان ينتظر مكالمة منى لتحرره من جمر حنينه إلى طقوس العيد هناك وشوقه إلى صوتها هي.

عاتبته على ذلك الغياب مرة جديدة رغم أنها كانت تعرف به من قبل العيد، بل قبل أن يعلم والداها. اشتعل الشوق في داخلهما، وبدا أن اللقاء غير المباشر يمنح كلا منهما فرصة أرحب للتعبير عما في نفسه.

هدأت نفس وحيد من لهيب استعادة مشاهد العيد في الكفر حتى أتت منى على ذكر ما جرى بين أبيه وشباب «الإخوان» وأصبح حديث الكفر.

انتابه قلق، هو يعلم صلابة أبيه، لكنه يخشى عليه من أي عارض.طمأنته منى إلى أن الموضوع انتهى بتصالح في ”دوّار“ العمدة كما سمعت من أبيها وأعادته ثانيةً إلى مساحات الشوق الجارف حين أقسمت له إنها لم تحتفل بالعيد في غيابه وإنها لن تفعل إلا حين يعود إلى الكفر.

فور وضعه السماعة رن الهاتف، كان على الجانب الآخر أحمد الهباش الذي صرخ فيه: أين أنت يا وحيد؟ أحاول الاتصال بك منذ ساعة والخط مشغول. يا أخي رجوتك مرات أن تشتري محمولاً حتى أعثر عليك بسهولة عند الطوارئ.

رد عليه وحيد بهدوء: نحن دائماً في حالة طوارئ، بل لها قانون، ما الجديد اليوم؟

الهباش: لا، طوارئنا تختلف وليس لها قانون. المهم أن سهرة استثنائية في انتظارنا. مجموعة من الأصدقاء عزّ عليهم أن نقضي أنا وأنت العيد هنا بلا أهل، فقرروا تعويضنا بجرعة حنان مجانية.

وحيد ضاحكاً: وهل مثلك يعرف أحداً يقدم شيئاً بالمجان؟

\*\*\*

أمام مكتب «المدى» في شارع متفرع من شارع القصر العيني  
التقى وحيد والهباش الذي استوقف تاكسيًا قطع بسرعة الطريق  
إلى كوبري الجامعة ومنه إلى ميدان الجيزة فشارع الهرم.

الطريق شبه خالٍ، والبيوت والشوارع تبدو مرهقةً بعد فورة  
العيد، الكبار والأطفال تركوا مساحات الحركة للشباب المتناثرين  
فوق كوبري الجامعة وبجانب أسوار حديقة الحيوان والجامعة.  
يسيرون متلاصقين يتهامسون أو يقفون في بعض الانحناءات أو  
تحت الأشجار يخطفون قبلات وأحضانًا.

عند شركة الأدوية، طلب الهباش من سائق التاكسي التوقف.  
منحه خمسة جنيهات فهاج: خمسة جنيه من القصر العيني  
للطالبة وفي أيام عيد؟ ما يرضيش ربنا الكلام ده يا أستاذ.

تصنع الهباش غضبًا ممزوجًا بلهجة رسمية توحى بالأهمية  
وقال له: بتعلي صوتك ليه؟ مش عاجبك خمسة جنيه في عشر  
دقائق، إيه الطمع ده؟

خفت حدة السائق وهو يرد: يا بيه، من القصر العيني للطالبة  
أقله عشرة جنيه، واحنا في أيام عيد، كل سنة وأنت طيب يا باشا.

حافظ الهباش على اللهجة الرسمية لكنه وجّه حديثه هذه المرة إلى وحيد: خلاص.. إديله سبعة جنيه يا أستاذ وحيد، واعتبر الاتنين جنيه الزيادة عيدية الأسطى..

كان وحيد سبق ذلك وأخرج عشرة جنيهات من جيبه وما إن سكت الهباش حتى أعطاها للسائق قائلاً: خلاص يا أسطى حصل خير، كل سنة وأنت طيب.

أخذ السائق الجنيهات العشرة راداً لوحيد التهنئة واستقل التاكسي وانصرف بينما الهباش يعاتب وحيد: هتطمع الناس فينا بعمايك دي. خمسة جنيه عدل ربنا مع الأشكال دي.

ضحك وحيد وهو يقول: يبدو أن الجنيهات الخمسة سقّك في الحياة، لا تعترف بأن معك أكثر منها في أي مرة وتصر على أنها المقابل العادل لأي خدمة. نفسي مرة تتجاوز حد الخمسة جنيه، يا عم فيه مبالغ تانية في الحياة، ارحمني.

رمقه الهباش بنظرة فيها خجل مصطنع وجذبه من ذراعه إلى شارع واسع بعد شركة الأدوية يكاد يختنق من دخان محل للمشويات، ومنه إلى شارع صغير. تجاوزا عدة بيوت ثم قصداً مدخلاً ضيقاً قادهما عبر سلم أضيق إلى شقة في الطابق الأخير.

دفع الهباش الباب فانفتح على ممر قصير يؤدي إلى صالة توزع في أركانها خمسة أشخاص قام أحدهما مرحباً بالهباش: أهلاً يا وحش، ونظر إلى وحيد مرحباً: اتفضل يا أستاذ.

سلما على الحضور الذين أفسحوا لهما مكاناً في وسط المجلس  
ومد الشخص الذي رحب بهما علبة سجائره فالتقط كل منهما  
واحدة وأشعلها.

نفث الهباش دخان سيجارته بسرعة قبل أن يسند ظهره إلى  
الحائط ويمد رجليه قائلاً: لا مؤاخذة يا رجالة، هل كان من التعب.  
آه نسيت أعرفكم بصديقنا الجميل وحيد عبد السلام، زميلي  
وصديقي.

رد الجميع: أهلاً أستاذ وحيد.

أشار الهباش بيده إلى الحضور بادئاً بصاحب الشقة: الأستاذ  
رابح سمير، قاص يبحث عن فرصة، الأستاذ حسن نادر مشروع  
صحفي كبير، الأستاذ نجيب المنشاوي، صحفي كبير من غير  
مشروع (ضاحكاً)، الأستاذ حازم البلقاسي شاعر بالأسي ومعذبنا  
معاه بقصايد، الأستاذ مؤمن قنديل خريج تربية موسيقية وعود  
محترم بس ما بعش أرضه.

حيّ وحيد الجميع بينما يتضحكون من تعبيرات الهباش  
وأعاد توزيع السجائر عليهم فانطلقت في المكان سحابة دخان  
كثيفة يرافقها سعال رابح فاحمر وجهه الأبيض وارتج جسده  
قبل أن يداعب الهباش: فين يا عم هدية العيد؟ مش وعدتنا تجيب  
التموين معاك؟

أخرج الهباش لفافة من جيبه وألقى بها إلى رابح فالتقطها

مهلاً: أيوه كده، لف يا عم حازم.

بعد دقائق كانت سجائر الحشيش بين الشفاه والدخان يعبق المكان، وتكررت الدورة مرات بعد أن لف حازم عددًا من السجائر وبدؤوا في تدخينها.

ساد الصمت وبدأ أن كلاً منهم لا يعنيه من حوله، يسرح في البعيد، يستدعي آمالاً معلقة أو خيبات، ثم يضحك ساخرًا أو مستبشراً.

كان رابح استثناء حين فاجأ الجميع ببكاء موجه بدد الهدوء الرائق. نهضوا إليه وربتوا على كتفه ثم جلس نجيب على ركبتيه أمامه واحتضنه وبكى معه.

وحده نجيب يعرف التفاصيل الدقيقة لقصة رابح، هما يعتبران نفسيهما من ضحايا خالد راضي.

كلاهما أتى من طريق مختلف، لكنهما في النهاية أصبحا رهن ما يقول خالد الذي ألقته الأقدار في وجه رابح بإحدى الندوات الأدبية.

كان رابح موظفًا أعزب بجهة حكومية في الشرقية، يكتب القصة القصيرة ولديه مسودة رواية. لم يكن راضيًا عن حياته في الشرقية التي كان يلتقي فيها أصدقاء يجمعه بهم شغف الأدب والموسيقى والفن.

كانت القاهرة هدفه، فكر كثيرًا في الارتحال إليها ومنعه رفض الأهل والأصدقاء لأن يتركهم إلى المجهول، خاصة أن محاولاته نقل وظيفته بالجهة الحكومية نفسها إلى العاصمة فشلت.

كان يعرض ذلك بالسفر إلى القاهرة مرتين أو ثلاثًا في الشهر يحضر ندوات وقراءات أدبية يعرف مواعيدها من الصحف.

في إحدى الندوات طلب التعليق وهاجم قصر النشاط الأدبي والفني على العاصمة وحرمان المهتمين والموهوبين في المحافظات من فرص التعبير عن أنفسهم وعرض إبداعاتهم أو الاستمتاع بما يقدمه الروائيون والشعراء الكبار.

وروى للحضور كيف أنه يتحمل عبئًا ماديًا وجسديًا للحضور إلى القاهرة محاولاً قراءة إحدى قصصه أو الاستئناس برأي ناقد فيها والتعلم مما يقدمه من سبقوه إلى الاحتراف والذيع ليحقق أمله في نشر إبداعه.

بعد الندوة التي عقدت في مقر أحد الأحزاب وقف في الحديقة الصغيرة يدخل كما فعل معظم الحضور. اقترب منه خالد راضي معرفًا بنفسه: مدير تحرير وصاحب وكالة الأنباء العربية.

عرفه رابح بنفسه، وتبادلًا التحية قبل أن يعاجله خالد: أوافك بشدة على تعليقك، القاهرة تستحوذ على كل الأضواء والاهتمام بينما تظلم الأقاليم، وهي في الأصل مناجم إبداع، إنما في كل الوقت هناك بقاع ضوء ومنافذ يمكن أن تساعد مبدعي المحافظات

خدمة للثقافة.

- أين هذا الضوء الذي تتكلم عنه يا أستاذ؟

- في وكالة الأنباء العربية.. جزء من مشروعنا الثقافي الأخذ بأيدي المبدعين إلى مساحات الانتشار والتحقق وتجاربنا كثيرة في هذا الشأن، لكن يبدو أنك لم تسمع بها. ذلك لا يمنع أننا في خدمتك وخدمة أمثالك من المبدعين المنتشرين في ربوع مصر..

هذه المقدمة أتقنها خالد راضي مع كثيرين أوقعهم في فخاخه قبل رابح الذي فاجأ المقربين بالاستقالة من وظيفته والارتحال إلى القاهرة حاملاً مشروع الأدبي ومبلغاً يدخره وأملاً في موقع بين الأدباء سحبه إليه خالد.

سكن في موقع قريب من الوكالة التي تراسل مجموعة من الصحف العربية بطلب من خالد الذي استقبله فيها فاردًا ذراعيه كأنهما صديقان منذ سنوات..

ترك رابح في الوكالة قصصه المكتملة ومسودة الرواية وألفي جنيته طلبها خالد وقال إنها جزء بسيط من تكلفة النشر لن يتحمل بعده شيئاً.

انتظر رابح أسابيع بلا رد من خالد راضي.

كان يقضي الليل يقرأ ويدخن، والنهار نائماً حتى أفلت منه شهران وتبدد معظم ما بقي معه من أموال دون أن يخبره خالد

راضي بأي جديد.

قرر رابح أن يقصد الوكالة لعله يظفر بجواب، فاستقبله خالد بفتور. سأله عن مصير أعماله فأجابه وهو منشغل بالنظر إلى أوراق أمامه: الدنيا ماشية، ما تستعجلش، الأمور دي بتأخذ وقت.

- لكنك لم تخبرني بذلك من قبل، تصورت أن الأمور أسرع ومضى شهران دون مؤشرات على شيء، وبصراحة، ما معي من نقود أوشك على النفاد.

رد عليه خالد دون أن يرفع عينيه عن الأوراق التي يطالعها: الصبر طيب يا راجل يا طيب.. عموماً، ممكن تشتغل معنا في الوكالة حتى يجدّ جديد في موضوع أعمالك الأدبية.

وهكذا وجد رابح نفسه يقضي معظم يومه يعيد صياغة أخبار منشورة في الصحف المصرية أو يعطيه خالد موضوعات قديمة يصنع منها جديداً يرسله إلى الإصدارات العربية التي يتعامل معها بأسماء زائفة معظم الوقت.

نجيب سبقه إلى هذا العمل الذي لم يستطع الهروب منه بحكم مسؤولياته الأسرية. كان تقدم للتدريب مع مجموعة من أصدقائه في مجلة «الإذاعة والتليفزيون» بمساعدة صحفي فيها من مدينتهم في الصعيد.

طالت بهم فترة التدريب، فلم يحتمل نجيب بعد أن اعتمد على ما ترسله له أسرته شهرياً، وهو قليل، ففكر في عمل ثانٍ. دلّه

أحدهم على الوكالة التي استحوذت على وقته كله وأقنعه خالد بعد أن أغراه بمرتب معقول نهاية الشهر الأول بأن يترك المجلة ويتفرغ للعمل معه.

ولمّا فعل، تغيرت المعاملة وبدأ خالد يحاسبه بالقطعة رغم أنه يستغل مهارته في إعادة الصياغة لإنتاج موضوعات لا يلحظ أحد أنها جمعت، أو بالأحرى، سرقت، من صحف عدة.

كان خالد راضي يثرى يوماً بعد آخر من عوائد هذه السرقات، مراهناً على أن معظم الإصدارات التي يرسلها لا تأتي نسخها إلى مصر. تعدد ضحاياه وبقي نجيب ورابع معه لا يقويان على إيجاد بديل، وبعد فترة من عمل رابع في الوكالة سكنا معاً وبدأت بينهما صداقة.

لم يجمعهما فقط الوقوع في براثن خالد والسكن المشترك، بل تميزاً بقدر من احترام الذات منعهما من الانصياع لرغبات أخرى مثل مرافقة رؤساء تحرير الصحف العربية التي يرسلها حين يزورون مصر إذا رغبوا في سهرة ماجنة أو شراء ما يلزمهما من الأسواق.

ولاعتماده عليهما في العمل، لم يضغط عليهما خالد في مرافقة هؤلاء الزوار الذين كان يفرط في إكرامهم بالطعام والخمر والساقطات يعاونه في ذلك موظفون آخرون بالوكالة.

في حزن نجيب، هدأ رابع وكفكف دمه وطلب سيجارة

حشيش أخرى. ألقى إليه حسن نادر سيجارة وهو يداعبه: روق يا عم رابح، الحياة قصيرة. ونظر إلى مؤمن يطالبه بالعزف: داعب أوتارك يا أستاذ وابتعد عن الحزين.

بدأ مؤمن يحرك أوتار العود بينما ينفث حسن دخان سيجارته في الهواء وهو يمد عينيه إلى ملصق لسعاد حسني معلق على أحد الجدران.

حسن ابن موظف مستور في الصعيد، درس الفنون الجميلة ويكتب الشعر، يشارك في بعض الأمسيات ويتهلل وجهه الممتلئ مع كل تصفيق، لكنه بنصيحة من أحد الصحفيين الكبار عمل بالصحافة ليضمن موطئ قدم في هذا المعترك الفسيح: القاهرة.

ذهب بتوصية من هذا الصحفي إلى رئيس تحرير مجلة أسبوعية قومية ولقيت بعض أفكاره استحسانه فبدأ في إنجازها.

وبتوصية ثانية، وضع رئيس التحرير اسمه في أول قائمة للتعيين، فزاد وقته المخصص للصحافة وانشغل عن الشعر، خاصة مع سفرياته داخل مصر وخارجها بسبب ارتباطات العمل.

حينما بدأ اسمه يتكرر في المجلة، خاصة على موضوعات من المحافظات، دعاه الهباش مرة إلى زيارة دائرة صديق محمود السبع في المنصورة الذي استقبله هناك على الغداء ودفع تكاليف إقامته في فندق متوسط الحال في المدينة. وكان المقابل مساحة معتبرة مع صورة للمرشح في موضوع عنوانه «عودة الرجل إلى

صباه»، وكان المقصود منه غير ما يوحي العنوان المقتبس من الكتاب الشهير «عودة الشيخ إلى صباه».

كان الموضوع عن عودة الذين حققوا نجاحات في العاصمة، خاصة في مجال الأعمال، إلى أماكن نشأتهم وصباهم لمعاونة أهلها ورد الجميل إليهم، وأيضاً مساعدة الحكومة في توفير الخدمات.

أعجب الهباش بالعنوان والمساحة المخصصة لصديق السبع في الموضوع وأقنع المرشح بأن يرسل هدية إليه وأن ينقلها هو بنفسه، وبدأت العلاقة تتوطد بينهما.

بعدها، كان الهباش وسيطاً في التعارف بين وحيد وحسن نادر الذي كتب تحقيقاً عن أحلام الشباب الموهوبين فنياً، وحينما قصد كلية التربية الموسيقية تعرف على مؤمن قنديل الذي أجمع زملاؤه على أنه مشروع فنان كبير.

مع تعدد اللقاءات عرّف مؤمن الهباش وحسن على بلدياته حازم البلقاسي المنشغل بالشعر وأسمعهم تجربته في تلحين إحدى قصائده.

سكن مؤمن قنديل مع رابع ونجيب فتح الباب للقاءات متعددة في الشقة يهيمن عليها الإحباط حيناً، والأمل حيناً، لكنها لا تخلو من الشعر والموسيقى والحشيش.

كان وحيد الوافد الجديد على هذا العالم، صحيح أنه كوّن

علاقات متعددة في الجامعة وقاده الهباش إلى بعض التجارب الجديدة عليه، لكنه، لأول مرة، يجد نفسه في هذا الجو المعجون بالشجن والرهنات، سواء الخائبة أو التي تبدو مفعمة بالأمل.

أشفق على رابح ونجيب كثيراً، وتعاطف مع الأول وحنق على أمثال خالد راضي، لكنه بقي صامتاً مكتفياً بالتدخين وهز رأسه مع دندنات مؤمن.

اقترب منه حسن نادر عازماً عليه بسيجارة حشيش:

- وحدوه يا عم وحيد، لسه اللي جاي كتير..

تعجب من فهم حسن نادر لما يدور بتفكيره، فنظر بعينيه وبقي لائذاً بالصمت يدخل ثم نظر إلى الهباش الذي أدرك أنه يطلب منه أن يرحل.

\*\*\*

في ميدان التحرير، حيث يسكن، غادر وحيد التاكسي تاركاً الهباش الذي أكمل طريقه إلى مسكنه في عين شمس.

ارتقى وحيد السلم إلى الدور الأول قاصداً غرفته في شقة

تحولت كل غرفة فيها إلى عالم، فالشقة الشاهدة على علو غابر تتسع لسوداني لا يعرف أحد ماذا يفعل في مصر، وأجنبية متوسطة العمر تبتسم في وجه كل من تصادفه مكتفية بإلقاء تحية الصباح أو المساء بعربية مفهومة تدل على طول إقامة، وموظف أنيق في إحدى شركات السياحة بميدان التحرير يترك غرفته مبكرًا كل يوم ويعود متأخرًا، وفي كل وقت يتواجد فيه لا يكف عن الحديث في هاتفه المحمول بصوت عالٍ يفهم منه أنه يدير شؤون عمله ويتواصل مع زملاء له يقودون مجموعات سياحية أو ينهون إجراءات تأشيرات.

بمجرد أن دخل الغرفة، ألقى وحيد نفسه على السرير وتراءى له وجه رابع يبكي وخلفه الكاتب خيرى شلبي يربت على كتفه ويكرر عبارة واحدة هي عنوان لأحد كتبه التي ينشغل بها وحيد: «رهانات الصبا».

ظلت العبارة تتردد في فضاء الغرفة، وتهدد وحيد وتحمله نائمًا كرضيع إلى الكفر، حيث أبوه ينتظر أمام الدار وهو يتمتم: رهانات الصبا يا ابني.

أفاق وحيد بعد الظهر ليجد الهباش وحسن نادر بجوار سريره، فرك عينيه وأزاح دخان سيجارة حسن عن وجهه وسأل مندهشًا: إحنافين؟

داعبه حسن: أنت في حضني يا حبيبي.

كانت طريقة مغادرة وحيد السهرة في شقة فيصل أزعجت حسن فاتصل بالهباش واتفقا أن يمرا عليه وأن يدعوها حسن على الغداء في مطعم للمشويات بوسط البلد بدا لهما حين دخلاه أنه من الزبائن المعروفين فيه.

طلب حسن سلاطات متنوعة وشوربة كوارع لثلاثتهم ثم سأل وحيد والهباش أن يطلبوا ما يشاءان بعد ذلك.

علق الهباش ضاحكاً: أنا مش هادفع يا حسن، أنت ووحيد اتصرفوا مع بعض.

عاجله حسن بالرد: وفر الخمسة جنيه التاريخية بتاعتك.. أنا هادفع.. العزومة عندي وعلى شرف وحيد.

شكره وحيد قبل أن يسأل: هو أنت كمان عارف موضوع الخمسة جنيه؟ الله يسامحك يا هباش، فاضحنا في كل حته.

قطع الحوار أحد جرسونات المطعم الذي بدأ في ترتيب الطاولة لتتسع لأطباق يحملها خلفه زميل آخر.

بعد الغداء قصد الثلاثة مقهى قريباً بدؤوا جلستهم فيه بتناول الشاي ثم القهوة وقبل أن يدفع حسن الحساب اقترح عليهم أن يختموا هذه النزهة بمشاهدة فيلم في السينما.

استصعب وحيد الفكرة مستبعداً أن يقفوا في الطوابير الطويلة المنتظرة لمشاهدة أفلام العيد، فأيده الهباش.

سألهما حسن: ومن قال إننا هنقف في طوابير؟ عندي مكان يليق بدماع المشاوي والقهوة اللي عملناه، بس هنمشي وأهي فرصة نهضم على ما نوصل.

مشى الثلاثة نحو ربع ساعة قضوها في متابعة العشاق المتناثرين في الشوارع والأسر الواقفة أمام صالات السينما ومحال الآيس كريم والحلويات، وهي مشاهد أصبحت معتادة لهم بحكم إقامتهم في القاهرة منذ بدؤوا الدراسة فيها وتختلف كلياً عن العيد في قراهم بالدلتا والصعيد، لكنها لم تفقد جاذبيتها.

وصلوا إلى سينما قديمة في شارع 26 يوليو، سبق حسن في الدخول وسلم على عجوز في مكتب صغير يعرفه وسأله عن الأستاذ سامي فأخبره الرجل أنه في إجازة العيد.

كان حسن نشر موضوعاً عن دور السينما القديمة في القاهرة والجيزة التي تعرض أفلاماً قديمة بأسعار زهيدة معظمها من إنتاج السبعينيات الحافل بالقبلات والمشاهد المغرية للشباب.

كان سامي أحد مصادر الموضوع وتوطدت علاقة حسن به وكثيراً ما زاره في السينما، بل أصبح يقصده مع أصدقاء ويطلب فيلماً بعينه ويشغله سامي إكراماً له ولضيوفه.

العجوز الموظف في السينما منذ سنوات طويلة يعرف هذه العلاقة لذلك بادر حسن بالسؤال: تحب تشوف إيه النهارده يا أستاذ؟

- أي حاجة يا عم فكري، مش عايزين نبوظ لك البروجرام.

- بروجرام إيه يا ابني؟ السينما فاضية، كله بيتفرج على الجديد النهارده، مش أيامنا دي.

عاد حسن إلى وحيد والهباش الواقفين في المدخل وسألهما:  
تحبوا تتفرجوا على إيه؟ عم فكري اللي جوه ده حبيبنا وعازمنا  
على أي فيلم تحبوه.

تبادل الهباش ووحيد النظرات الحيرى فأدركهما حسن  
نادر بسرعة: طيب.. أنا أقول خيارات. ”رحلة العمر“، ”حمام  
الملايطي“، ”الزوج العازب“، ”أبي فوق الشجرة“....

لم يتركه الهباش يكمل: يمشي «أبي فوق الشجرة»، أهو نقسم  
البوس اللي فيه علينا عشان نعرف نعد كويس..

ضحك الثلاثة قبل أن يتقدموا خطوات صوب عم فكري الذي  
منحه حسن عشرة جنيهات.

- كل سنة وأنت طيب يا راجل يا طيب. الشابين المحرومين من  
البوس دول عايزين يتفرجوا على «أبي فوق الشجرة».

- من عينيا يا أساتذة، كل سنة وأنتوا طيبين.

دخل الثلاثة إلى الصالة المظلمة وجلسوا متفرقين بنصيحة  
ضاحكة من حسن نادر حتى لا يندمجوا في الأحداث فلا يجد  
أحد منهم غير جاره ليقبله، بينما صعد عم فكري إلى مكان آلة

العرض وبعد دقائق دارت بكرة الفيلم.

كان وحيد شاهد الفيلم مرة في سينما بشارع عماد الدين في ذكرى وفاة عبد الحليم حافظ، لكنه لم يمانع في مشاهدته ثانية. مرت لقطات الفيلم تتخللها دعابات متبادلة بين الثلاثة وبانتهاؤها خرجوا إلى المكتب الموجود في مدخل الصالة حيث ينتظر عم فكري محيياً.

شكره حسن ووحيد وفاجأ الهباش الجميع بأن طبع، بتمهل، قبلة على خد عم فكري، فحجل الرجل.

جذب حسن الهباش من زراعه صائحاً في دعاة: يا عمنا، أنت سخنت؟ الراجل الطيب ده مش حملك.

هون عم فكري مما حدث قائلاً لحسن: ولا يهملك يا أستاذ، متعودين على أكثر من كده. ربنا يسعدكم.

خرج الثلاثة إلى شارع 26 يوليو واقترح الهباش أن يجلسوا لبعض الوقت في أحد المقاهي المجاورة للسينما قبل أن يقرروا الخطوة التالية. اقترح حسن أن يدعوهم إلى تناول القهوة في المجلة، خاصة أن لديه أعمالاً بسيطة يريد إنجازها قبل سفره إلى أهله لعدة أيام بعد أن غاب عنهم في العيد.

بعد سير دقائق، كان الثلاثة في صالة تحرير المجلة بمبناها القريب من شارع 26 يوليو.

حيا حسن زملاء ينكبون على الأوراق وفتح درج مكتبه ليخرج علبة سجائر وشاحن الهاتف، والتفت إلى وحيد والهباش يسألهما عما يشربانه.

طلبا قهوة، فاتصل حسن بالبوفيه طالباً ثلاثة أكواب منها قبل أن يمنح وحيد والهباش سيجارتين ويشعل لنفسه واحدة.

بعدها انشغل حسن مع بعض زملائه، داعب أحدهم ومنحه سيجارة، وسأل آخر عن أمر، وتضاحك مع زميلة قبل أن يدخل عامل البوفيه بالقهوة.

دعا وحيد والهباش إلى تناول قهوتيهما ثم أخذ رشفة من كوبه قبل أن يجري قلمه في أوراق أمامه لعشر دقائق ثم استأذن ليسلم الموضوع إلى رئيس التحرير.

غاب حسن دقائق ثم عاد داعياً وحيد والهباش إلى الانصراف، ثم حَيَّ زملاءه على أن يراهم بعد عودته من الإجازة، فتمنوا له قضاءها في سعادة وبعضهم طلب شيئاً من خيرات الصعيد، أما فرح منصور فاقتربت منه أكثر وهمست له بكلمات لم يسمعها أحد ثم صافحته بتمهل كأنها تستبقيه.

عند باب المؤسسة التي تصدر عنها المجلة ودع حسن صديقيه مستوقفاً سيارة أجرة إلى محطة السكة الحديد في الجيزة، بينما سارا في اتجاه وسط البلد مخترقين ميدان الإسعاف إلى شارع 26 يوليو ومنه إلى شارع طلعت حرب وواصلتا السير حتى بلغا

العمارة التي يسكن فيها وحيد.

سأله الهباش عما ينتوي فعله، فأبلغه أنه يفكر هو الآخر في السفر إلى والديه، خاصة أن لا شيء مهم في القناة يستوجب بقاءه، بل إنه يفكر في البحث عن عمل صحفي أكثر استمراراً وجدية وسأله أن يبلغ السبع بذلك.

أدرك الهباش أن سهرة شقة رابح تركت أثراً في نفس وحيد الذي أصبح أكثر انشغالاً بالمستقبل، وأن تجربة حسن نادر وتحققه في عمله الصحفي سيجعلانه يعيد التفكير في أشياء كثيرة.

لم يشأ أن يناقشه وحمله سلاماً إلى والديه ومنى، متمنياً أن يعود بالسلامة.



بات وحيد ليلته مؤرقاً، يغفو ويفيق على صدى صوت يتردد في الغرفة مردداً «رهانات الصبا»، وبعد أذان الفجر توجه إلى مسجد عمر مكرم لأداء الصلاة ثم اتجه إلى «باب الحديد»، واستقل قطار دمياط الذي يتوقف في المحلة.

كان الجو منعشاً، ومنظر ما تبقى من خضرة وحركة مبكرة لبعض الفلاحين في الحقول على جانبي مسار القطار يهيئه لوجوده في الكفر وينعش روحه المثقلة بما جرى في سهرة شقة رابح.

اكتمل له وجه أبيه خارجاً من بين الحقول المترامية على جانبي مسار القطار ليحتضنه تتبعه أمه حاملة ما حرم منه من طعام خلال غيابه، وبانت له منى خجلى تمد يدها للسلام فباغتها بجذبها إلى أحضانه، فشهقت أمه وهي تحاول التفريق بينهما: عيب يا ولد!

أيقظه صرير عجلات القطار وهو يتوقف في محطة طنطا وجلبة الباعة الذين سعدوا إلى العربية يبيعون سبلاً مزعومة إلى الجنة ونعيمها وصوراً مجمعة من مجلات لممثلات أجنبيات وحوادث تناثرت في الصحف وأعاد أحدهم ترتيبها وتبويبها

ليبيعها جرعة مكثفة إلى عشاق قراءة الخيانات الزوجية وقصص  
الحب المبتورة وتقلبات الأقدار في حياة الأشخاص.

هبط إلى الرصيف وأشعل سيجارة تلو الأخرى في انتظار  
تبديل موضع الجرار في القطار ليتجه صوب دمياط مروراً  
بالمحلة والمنصورة.

أطفأ وحيد سيجارته عندما أعلن مذيع المحطة عن قرب تحرك  
القطار وبمجرد أن خرج من حدودها عاد إلى تأمل الحقول ومن  
يتحركون فيها حتى اقترب من المحلة وبدت المساكن والسيارات  
في مدخل المدينة وبعد دقائق غادر القطار.

استقل تاكسيًا إلى «موقف» سيارات القرى والكفور التابعة  
للمحلة، ومن هناك نقله «الميكروباص» إلى الكفر.

بمجرد نزوله بالقرب من المنزل، استقبله بعض المعارف  
بالترحاب، وحيى نسوة يمددن أرجلهن في شمس الضحى،  
وإحادهن تضع بين قدميها الممدودتين رضيعًا عاريًا لتقوي  
أشعة الشمس عظامه، فرددن تحيته بحرارة ودعوات.

لم يكن أخير والديه بموعده وصوله، ولا حتى منى كانت تعرفه.  
كان كالهارب من أثقال أنهكته في الأيام الأخيرة بالقاهرة، يريد  
فقط أن يستقوي بأهله وجذوره بعد أن شعر بضياح لا مبرر له  
هناك.

ربما كان وراء هذا الشعور بقاؤه في مفترق طرق وعدم

انغماسه في عمل ذي ملامح واضحة كما فعل حسن نادر، وكذلك حالة التيه التي وجد عليها رابح ونجيب..

لم يخلُ الأمر من لوم لنفسه، استصغر القناة والهباش، بل اتهم نفسه بالضعف والاستسلام لهذه السلبية التي تلازمه منذ التخرج.

هو هكذا دائماً في المنعطفات، يشعر بأنه معلق في الهواء، يحتاج إلى يد تجذبه إلى الأرض وتحثه على الانطلاق من جديد.

عندما اقترب من باب المنزل كان يعلم أن أمه وحيدة بالداخل، فهي تستيقظ مع أبيه فجرًا، تشغل الراديو لتتطلق التواشيح في أرجاء المنزل وتوقظه للصلاة. بعد أن يعود من المسجد يتناولان الإفطار والشاي قبل أن يقصد الغيط الذي يعود منه مع أذان الظهر.

أما هي فتبقى منشغلة ببرنامجها اليومي الذي قليلاً ما يتغير، إذ تصعد أولاً إلى سطح المنزل تضع الطعام والماء للطيور وتزيل مخلفاتها. بعدها تنزل إلى المنزل ترتب فيه ما يحتاج إلى ترتيب ثم تمر عليها إحدى الجارات اللاتي يتناوبن على إحضار احتياجاتها من السوق وتبدأ بعد ذلك في تنظيف المطبخ وتجهيز طعامها وزوجها.

صعد وحيد درجتي سلم في الشارع قبل أن يتجاوز بهدوء مقصود باب بيتهم المفتوح، كما هي كل أبواب منازل الكفر،

ثم فتح برفق بابًا آخر يقود إلى الصالة حيث وجد أمه وسطها  
تستقبل بظهرها أشعة الشمس التي تخترق حديد الشباك وهي  
”تنقي“ الأرز، بينما يأتي القرآن من صوت الراديو.

ألقي وحيد حقيبته فانتهت ناظرة إلى مصدر الصوت فإذا  
المفاجأة تبكيها.. حاولت الوقوف فاستبقاها جالسة ثم ارتمى  
في حضنها وهي لا تردد غير «ابني حبيبي».

ترك نفسه دقائق في أحضانها ثم ابتعد قليلاً ليقبّل يديها  
ويمسح دمعها. لم يكن يحتمل أن يبكي أمامه أحد، خاصة أمه،  
فما فعله رابح ونجيب يكفي.

جذبت يديه وهما تمسحان دمعها وقبلتهما ونظرت في عينيه  
تسأله بغضب حنون: كده يا وحيد؟ تغيب في العيد وتسيبني أنا  
وأبوك، وتيجي على غفلة كده، أنا كان قلبي هيقف أول ما شوفتك.  
طيب كنت كلمني في التليفون ولا منى بس هي اللي تعرف أنك  
جاي؟

بينما يواصل تقبيل يديها، أقسم أن لا أحد في الكفر يعرف أنه  
عائد.

- ولا منى؟

- والله ولا منى.

- مصدقك يا ابني، بس ليه كده، دلوقت منى تزعل ومش بعيد

تقعد جنبها طول الإجازة تصالح فيها إلا إذا كنت جايب لها حاجة  
من ريحة مصر.

بمجرد أن أنهت جملتها كان صوت منى يأتي من الخارج: يا  
خالتي.

وبعد ثوان كانت أمامها في الصالة للاطمئنان عليها كعادتها  
اليومية لتفاجأً بوحيد جالسًا.

ذهلت منى لرؤية وحيد فلم تقدر على النطق بكلمة، بل كانت  
دموعها أسرع وهرولت خارجة إلى بيتها.

نادتها أم وحيد مرات بلا فائدة قبل أن تنظر إليه معاتبة: مش  
قلت لك يا ابني. اتصرف معاها أنت بقي.

سأل وحيد أمه ألا تقلق مؤكداً أنه سيداوي الأمر، مستئنذاً في  
الخروج ليرى يوسف.

حاولت استبقاءه حتى تجهز له شيئاً يأكله، لكنه آثر الخروج،  
فهو مشتاق إلى رؤية يوسف ويريد أن يلقي بين يديه جزءاً مما  
يعتمل في عقله وقلبه لعله يستريح قليلاً مما كابده خلال الأيام  
الأخيرة.

حينما مرّ أمام بيت منى توقع أن تكون خلف النافذة لكنه لم  
يرها فأقنع نفسه بأن يؤجل أمرها إلى المساء ليجد فرصة يعتذر  
لها فيها عن عدم إخبارها بقدومه كما يفعل في كل مرة ويشرح

لها حالة التخبط التي يحيهاها.

بعد دقائق وصل إلى بيت يوسف حيث وجد عند الباب إحدى أخواته وعندما سألتها عنه أخبرته أنه نائم في غرفته.

كعادته، صعد السلم سريعاً إلى الدور الثاني حيث الغرفة التي تحفظ كثيراً من أسرارهما. لكز وحيد يوسف في كتفه ليوقله، وعندما فتح عينيه ووجده نهض إليه سريعاً يعانقه طويلاً.

لم يكن يوسف أقل شوقاً إلى صديقه من والديه ولا أقل تأثراً بغيباه في العيد، ففي كل مناسبة بينهما الكثير مما يتذكرانه ويفعلانه، فرباطهما وثيق منذ المرحلة الابتدائية، وربما قبلها، لعبا معاً في الأجران والحقول، وعرفا الطريق إلى «الكتاب» وذاكرا سوياً، وناما متجاورين تحت الجرار الذي يحمل «الصييت» وفرقتة أيام مولد الكفر.

عندما دخلا مرحلة المراهقة وأصبحا يأتیان كثيراً على ذكر فتيات وسيدات من الكفر أرادا ألا يفهم أحد ما يتحدثان فيه فابتكرا لغة خاصة بهما وأطلقا وصفاً على كل واحدة يقصدانها.

تنافسا من غير ضغينة في حفظ مفردات من اللغة الإنجليزية وأغانى أم كلثوم وفريد الأطرش، وفرقت بينهما نتيجة الثانوية العامة، فذهبت بيوسف إلى كلية الآداب في جامعة طنطا وأبعدت وحيد إلى القاهرة.

اهتزت علاقتهما قليلاً حين شعر يوسف مع غياب وحيد في

القاهرة لبعض الوقت بأن المسافة بينهما تزداد، فلم يعد بينهما لقاء يومي ولا تفاصيل خاصة بهما، لكن وحيد بدد هذا الشعور بحديث مباشر معه خلاصته أن مرحلة جديدة بدأت، لكن الصداقة التي تجمعهما لا يمكن أن ينال منها شيء.

رضي يوسف بما قاله وحيد، بل أسعده أن صديقه أدرك ما يدور في نفسه ومضت بينهما العلاقة كما هي وإن قلت فرص اللقاء، لكن حين تحين يلقي كل منهما في قلب الآخر ما يختزنه منذ يفترقان.

بسرعة، تناولا الإفطار في بيت يوسف وغادراه إلى مكانهما الأثير: شجرة توت عند جسر البحر تشهد على كثير مما بينهما وجمعتهما بأصدقاء آخرين وزملاء يتسامرون أو يذاكرون.

استعاد كل منهما ما عاشه منذ أن سافر وحيد حتى وصلا إلى ما جرى بين أبيه وشباب «الإخوان».

عاتب وحيد صديقه لأنه لم يبلغه فتعلل بأنه رأى الموضوع بسيطاً وانتهى باعتذارهم؛ لذلك لم يرد أن يشغله.

لم يكن وحيد مقتنعاً بأن ما جرى تصرف عابر من شباب متحمسين أو منقادين وربط "واقعة الطريق إلى المقابر"، وهو الوصف الذي أضحك يوسف، وما قاله أحد أساتذته في كلية الإعلام قبل تخرجه بشهور في نادي أعضاء هيئة التدريس بالدقي أمام عدد من الطلبة معظمهم من "الإخوان".

كان الأستاذ ينصح الطلبة، خاصة من كلية الإعلام، بأن يخرطوا في كل الأنشطة الإعلامية والفنية وأن يجيدوا كل فنون التواصل مع الجمهور عبر المسرح والسينما والتلفزيون والصحف وأن يستجيبوا لكل شروط العمل في هذه المجالات، وإن خالفت قناعتهم، حتى إذا جاء يوم تتمكن فيه الجماعة من الحكم وجدت بين أبنائها من يستطيع التعبير عن رسالتها وينقل رؤاها.

سخر معظم الحضور يومها، من غير أن يبدي ذلك، مما قاله الأستاذ، فلا شيء في الأفق يبشر بتمكين الجماعة التي تبدو قانعة بحرية حركة في المحافظات والمناطق الفقيرة بالمدن الكبرى تساعدها من بناء قواعد جماهيرية عبر تقديم خدمات صحية وتعليمية، وترضى ببعض المقاعد في مجلس الشعب بعد معركة مفتعلة مع الحزب الوطني أمام الناخبين.

توقع وحيد أن يكون أحد مسؤولي الجماعة في الكفر عبّر أيضاً في إحدى جلساتها مع الشباب عما قاله الأستاذ فجاء هذا التصرف الأرعن من بعضهم.

لم يكن وحيد يعرف أن مسؤولي الجماعة في الكفر وصفوا ما قام به الشباب أيضاً بالمتعجل والمتهور الذي كاد يفسد علاقتها بالأهالي ويجرّها إلى صدام مبكر معهم ومع تقاليد وتفاصيل حياة مستقرة منذ زمن طويل ولا يمكن مواجهتها أو محاولة محوها بهذا الأسلوب.

حاول بعضهم أن يلتمس العذر للشباب، لكن الرأي الغالب كان وجوب الصبر على هذه الممارسات، لأن بعضها أكثر رسوخاً في نفوس الفلاحين من الدين نفسه، بل هي الدين عند بعضهم وتحاط ممارستها بقداسة لا تقبل الجدل ولا التشكيك، ومواجهتها الآن خاسرة لا محالة وتسحب من الرصيد الشعبي للجماعة التي ترى قياداتها العليا ضوءاً في طريقها قد يقلب موازين القوى في مصر.

استبعد يوسف قناعة وحيد بأن تصرف شباب الجماعة تعبير عن فكر ما أو تيار داخلها ومال إلى عفويته وأنه سيتثبت من ذلك حين يكرر له الأستاذ مجدي عضو مجلس الشعب الاعتذار عما جرى.

لم يكن وحيد، رغم ضيقه مما وقع لأبيه، منشغلاً بتكرار الاعتذار، بل إنه رأى في واقعة المقابر إشارة مبكرة إلى شعور الجماعة بالتمدد في المجتمع تحت غطاء ديني اجتماعي اقتصادي.

صحيح أن أحداً من الجماعة لم يشر صراحة إلى هدف سياسي ولا طموح في توسع أرضيتها، لكن في ما فعله بعض من شبابها صبيحة العيد يشي بإحساس بالقوة لا تريد القيادات أن يظهر الآن، لذلك بادرت إلى إصلاحه، وهو ما كان يقلق وحيد أكثر من التعرض لأبيه.

\*\*\*

عاد عبد السلام من الغيط قبل أذان الظهر وبمجرد أن رأى  
حقيبة وحيد في الصالة سأل زوجته فرحًا: وحيد جه؟

ردت أم وحيد بالإيجاب فعاجلها بالقول: أكيد دلوقت عند  
يوسف، خلينا نبعت حد ينده له.

استمهلت أم وحيد مؤكدة أن ابنها سيعود بغير تأخير بعد أن  
يلتقي يوسف، متوقعة أن يكون راغبًا في إصلاح ما أفسده مع  
منى بسرعة، وأخبرته بغضبها حين فوجئت به موجودًا في صالة  
المنزل.

كان عبد السلام أكثر انشغالاً برؤية ابنه، وهون من غضب منى،  
مؤكدًا أن هذه أمور طبيعية لمن هم في سنهما وتذوب بالحب، بل  
تشعله أحيانًا، فنظرت إليه بود صافٍ قائلة بدلال وقور: قول يا  
عم الحبيب، فابتسم.

لم يتأخر وحيد، وبمجرد أن دخل المنزل وجد أباه جالسًا على  
السلم الداخلي، فنهض يحتضنه بشدة.. ويبكي.

ترك وحيد نفسه في حضن أبيه، لكن مسح دمه برفق وهو  
يهمس: أنا كويس يا حاج.

خفف عبد السلام بكاءه ونظر في عيني وحيد قائلًا والدمع

يختلط بكلماته: وحشتني قوي يا ابني.

كانت أم وحيد ترقب المشهد من داخل المنزل وحاولت أن تخفف من وطأته على الزوج والابن فدعتهما وهي تغالب دمعها إلى الدخول وانتظارها حتى تجهز الأكل.

بعد الغداء، طلبت الأم من عبد السلام ووحيد أن يستريحا قليلاً، خاصة أن الابن لن تهدأ إجازته بسبب ما ينتظره من لقاءات بأصدقائه وزملاء الدراسة في الكفر، وسألته أن يخصص وقتاً في المساء لزيارة أهل منى، أقله حتى يصلح ما أفسده معها.

لم يشأ عبد السلام أن يؤخر فتح موضوع مشكلته مع شباب الإخوان حتى يحبط أي انفعال لوحيد قد يوسع الأمر، فطمأنه الابن إلى أنه سيتعامل مع الأمر بحكمة بشرط أن يكون هو قانعاً بالاعتذار.

كانت نفس عبد السلام هدأت واقتنع بأن انتهاء الموضوع عند هذا الحد يقي ابنه الدخول في أي نزاع الكل في غنى عنه، فغيّر مسار الحوار مداعباً وحييد.

- أنت مزعل منى ليه يا جدع، طيب أنا وأمك مقدور علينا، قابل بقى ضربة البوز اللي هتشوفها طول الإجازة وجايز بعدها. يا ابني خليك حريص مع النسوان، كل شيء يهون إلا زعل الجماعة، بس ممكن تزعل جماعة الإخوان وتديهم على دماغهم كمان.

ضحك الثلاثة ووضع وحيد رأسه في حجر أبيه مطمئناً إياه إلى

أنه سيدبر أموره مع أي جماعة، وأغمض عينيه لينام فبدا الأب وابنه كطفلين بريئين لا يجمعهما إلا الصفاء.. وتحرسهما الأم.

مع أذان العصر، استيقظ وحيد في حجر أبيه الذي قنع بالاستناد إلى الجدار خلال نومه مخافة أن يقلق ابنه.

أعدت الأم لهما كوبين من الشاي بسرعة، وبعد أن فرغا من تناوله توضأ وقصدا المسجد فأدركا الركعة الأخيرة.

بعد الصلاة تصافح وحيد وأبوه مع المصلين وبينما يرتديان نعليهما وهما يغادران المسجد سأل وحيد أباه: هو الشيخ صابر هيفضل يجري في الصلاة كده، كأنه يبصلي لوحده مش إمام، يدوب بعد الأذان يقيم الصلاة واللي يلحق يلحق؟

- أكيد عنده ميثم النهارده، عايز يلحق ربح بعد العصر. أنت عارف ما بيصدق حد يتفق معاه على ليلة لأنه بيرضى بأي حاجة بدل ما يدفع أهل الميت مبلغ لمقبرئ مشهور. المهم أنت رايح فين دلوقت؟ هتعددي على يوسف تاني؟

كلما همّ وحيد بالرد على أبيه جاءه أحدهم يسلم عليه ويسأل عن أحواله حتى أتاه فتحي والد منى واحتضنه والعتاب الرقيق باد في عينيه.

- جيت إمتي يا سي وحيد؟ مش كنت بلغتنا جهزنا الدبايح؟ يلا متعوضة، المهم سلامتك.

كان فتحي لاحظ ضيق ابنته وعندما سألها عن سببه أطرقت برأسها ولم تجب وأسرعت إلى غرفتها، فنظر إلى أمها فأخبرته بما جرى.

أدرك عبد السلام مغزى كلمات صديقه، لكنه لم يشأ أن يجاريه فيشغل وحيد في بداية إجازته بمشكلة يوقن أنه سيحلها بطريقته الهادئة من دون أن يتدخل أحد ففتسح.

حلّ يوسف المشكلة حينما خرج من المسجد ولحق بهم أمام بابه وبمجرد أن سلم عليهم قال عبد السلام: يلا يا أستاذ، صاحبك اللي بياخدك مننا طول الإجازة وبيحرم حتى أبوك وأمك منك وصل، النية على فين إن شاء الله؟

لم يكن ثمة اتفاق بين وحيد ويوسف، لكن الأول أدرك مغزى أبيه فأمسك بذراع صديقه وبدأ في الابتعاد.

سأله يوسف: على فين؟

- مش عارف، بس أبويا بيخلصني من موقف محرج مع عمي فتحي، تعالى نبعد شوية وهحكلك.

حكى وحيد عن مفاجأة منى من وجوده في المنزل وانصرافها غاضبة وتلميخ والدها لذلك.

- هتفضل غشيم في موضوع النسوان ده؟ وبعدين لإمتي التفاصيل الصغيرة دي هتفضل تفوتك؟ كل الإجازة دي ممكن

تبوظ بسبب منى وزعلها.

طمأنه وحيد إلى أنه سيداوي الأمر حينما يزور بيت منى مساء، لكن يوسف أخبره أن عليه أولاً أن يذهب معه إلى بيت الأستاذ مجدي لأنه علم بوجوده ووسّطه لترتيب يجمعهم الثلاثة في منزله بعد صلاة العصر..

لم يجد وحيد ما يمنع اللقاء خاصة أن علاقته بالأستاذ مجدي طيبة، فاتجه مع يوسف إلى منزله.

\*\*\*

كان حسن نادر يقضي وقته في الصعيد متنقلاً بين بيوت أقاربه وزملاء وأصدقاء المرحلة الثانوية، لكن الطقس الثابت كل يوم كان مكالمة من فرح منصور. مرة تستشيريه في فكرة موضوع للمجلة أو عنوان أو تقرأ له مقدمة انتشت بها بعد أن أنجزتها.

حسن سبقها في العمل إلى المجلة وعلاقتها بدأت عادية لكن رئيس التحرير قواها حينما كلفها بعدة موضوعات مشتركة سافرا في بعضها إلى خارج القاهرة.

مع الوقت أصبح حسن وفرح فريقًا صحفيًا ينافس بقية الزملاء ويستحث غيرتهم وأذاهم أحيانًا، وبدأت كلمات تنفلت عن علاقة بينهما يبقيها الأبرياء في دائرة الإعجاب أو الاستلطاف المتبادل، ويذهب بها شياطين المجلة، كما يسمون، إلى ما هو أبعد.

كان شيء ما ينبت في مساحة دافئة بين حسن وفرح بدأت مهنية، فهي تراه صحفيًا شاطرًا يعرف وجهته ويمضي إليها بإصرار ذكي، وهو يلمح في عينيها وبعض مفرداتها شقاوة متعلقة وحماسًا يحاول أن يجد لنفسه موضعًا في زحام القاهرة.

تتسع المساحة التي تجمع حسن وفرح رويدًا رويدًا مع كثرة العمل والنجاحات المشتركة، وحينما أتاها والدها من دمياط للاطمئنان عليها عرفته إليه وجمعهما غداء في مطعم قريب من المجلة.

وبينما تعانقه على رصيف القطار مودعة، همس الوالد في أذن فرح وهو يكاد يرى نورًا جديدًا يولد في روحها: حذارٍ من وجع القلب. حذارٍ من الجمر.

أدركت فرح أن والدها، كعادته، لمس ما ينبت فيها، بل حدد موضعه: القلب، فأيقنت أنها بدأت رحلة جديدة فتركت نفسها للأقدار تحملها أنى تشاء.

حسن كان على الجانب الآخر أكثر تعقلًا، بل إنه يستعيد في بعض المواقف جمود صعيدي لم يغادر أرضه يومًا ولم يعقد كل

هذه العلاقات ويخوض كل هذه التجارب المهنية في العاصمة،  
وحين يفعل يفاجأ ومعه المحيطون به بأنه يعود في حديثه إلى  
لهجته الصعيدية.

لم يكن ذلك الجمود اللحظي يعني لفرح شيئاً، فهو في معظم  
الوقت منفتح على الجميع منطلق في علاقاته وتجاربه، وحتى  
حينما تفاجأ بردود فعله الحادة أحياناً تقول في سرّها وهي  
تبتسم «ترويضك على إيدي وحياء أمك».

حين يكون في الصعيد يعود حسن نادر إلى صعيديته كاملة،  
يلبس جلباباً ويتحدث لهجة أهله ويقصد الأماكن التي جمعته  
بزملائه وأصدقائه منذ الطفولة، لا يخرج من ذلك إلا مكالمات  
فرح التي تحوله بمجرد أن تبدأ إلى طفل يتسلل بعيداً عن رفاقه  
لينفرد بحلاوة ما تقول.

عرف معها طقوساً جديدة خارج حدود العمل، اعتاد أن  
تستقبله في محطة القطار حين يعود من الصعيد، وأن تذهب  
معه إلى السينما كل خميس، لم يعد يبذل المطاعم التي يقصدها  
كأعزب لا يجيد الطهي، فهي أكثر منه ارتباطاً بالتفاصيل ووفاء  
لها، تفعل الشيء نفسه مرات بلا ملل وتخلق علاقة بالأماكن لا  
تفتقر بالتكرار. وإن غيرت وجهاتها، فلمرة أو اثنتين وتعود سريعاً  
إلى عالمها الذي تصنعه على مهل واستدرجت حسن إليه بحب  
جارف مندفع.

زادت زيارات والدها إليها في المجلة وأصبح حسن ثالثهما في كل جلسة، أخذت والدها إلى الأماكن التي تقصدها مع حسن بزعم أنهما يأتيان إليها للنقاش حول أفكار موضوعات أو الكتابة.

والدها يدرك أنها تريد أن تنتزع منه موافقة صامتة على هذه العلاقة، وأن تطمئن حسن إلى أنها ليست منفلة أو مراهقة تفعل ما تشاء بعيداً عن أهلها.

حتى الأصدقاء الذين شاهدوا حسن وفرح معاً في بعض الأماكن أو بصحبة والدها أصبحوا يتحدثون عن علاقة واضحة تمضي إلى ما تذهب إليه غيرها من علاقات، رغم أن أطرافها الثلاثة الأساسية: حسن وفرح ووالدها لم يسموها باسمها ولم يتحدثوا في تفاصيل.



في غياب وحيد وحسن عن القاهرة، تكررت لقاءات رابح والهباش الذي كان يسعى جاهداً لتخليصه من بين براثن خالد راضي بوظيفة خارج الوكالة.

سهرات معاً، ومرات أخرى مع بقية الرفاق في شقة الهرم، فرابح لا يقصد الشرقية متوارياً في القاهرة بخجله مما آلت إليه

أموره، والهباش بقي بطلب من السبع لإدارة أمور القناة.

كان الهباش يتعجل توسيع نشاط القناة واقترح على السبع أن يترشح للانتخابات المقبلة والاستفادة من هذه النافذة الإعلامية وبعض الصحف في تقديم نفسه وجهاً جديداً في العمل البرلماني بدلاً من الترويج لصديقه النائب.

لم يكن السبع راغباً في خوض هذا المجال مكتفياً، كما قال للهباش، بشركاته، بعيداً عن صداد الحياة البرلمانية وضغوطها، سواء من أبناء الدائرة أو الجهات الأمنية أو قادة الحزب الوطني، وتكاليف ذلك المادية، وهو في الوقت نفسه يستطيع أن يحمي مصالحه وينميها بمساندة آخرين من غير أن يدفع في ذلك الكثير.

موقف السبع يتخذه كثيرون لا يفضلون الظهور الكامل في الصورة، بل يدفعون لتلميع آخرين، لكنهم يستردون الثمن أضعافاً من غير أن يكونوا عرضة للنقد، أو الابتزاز، من أهالي الدائرة أو الصحف.

في إحدى سهراته مع السبع في مكتبه، اصطحب الهباش رابع معه واقترح الاستعانة به في القناة، خاصة أن وحيد لن يستمر.

لم يمانع السبع وكلف الهباش بأن تبدأ القناة في التركيز على إنجازات صديقه النائب كنموذج مشرف لنواب الحزب الوطني تمهيداً للانتخابات المقبلة، خاصة أن الأبناء متواترة عن أن

جماعة «الإخوان» تنوي الدفع بمرشح ينافسه.

اقترح الهباش عدم الاكتفاء بتلميع النائب والعمل بموازاة ذلك على مهاجمة الجماعة، لكن السبع رفض ذلك، مؤكداً أن التعليمات تتوقف عند خدمة ممثل الحزب.

عهد الهباش إلى رابح بصياغة مجموعة من التقارير عن نائب الحزب الوطني ريثما تتجمع لديه فيديوهات عن أنشطته في الدائرة ومشاركاته في مناقشات مجلس الشعب خلال الدورة الموشكة على الانتهاء.

بمجرد بدء إذاعة التقارير، نالت إعجاب السبع والنائب، بل إن نواباً آخرين طلبوا تقارير مماثلة، رغم قصر ساعات إرسال القناة وعدم انتشارها الواسع، لكن طريقة الكتابة والتصوير جعلتها جاذبة ويمكن استغلالها في سيارات الدعاية والمؤتمرات الانتخابية.

اقترح الهباش أن تكون مدفوعة، ولم يكن ذلك هدف السبع، لكنه لم يمانع أن يستفيد منها الهباش ورابح، خاصة أن ما سيدفعه النواب فيها لا يمثل شيئاً في الملايين التي يدفعونها في صور الدعاية الأخرى.

كانت هذه التقارير بداية انتعاشة مادية لرابح والهباش، لكن الثاني استفاد منها أكثر حين تعرف على كثيرين من مساعدي النواب الذين يتواصلون معه بشأن التقارير ويوفرون له معلومات

ومواد فيلمية.

لم تفلت الفرصة من الهباش كعادته، ففضلاً عن معارفه الجدد الذين يملكون، بحكم عملهم مع النواب، علاقات واسعة في الوزارات والمؤسسات، استعان به عدد منهم في التجهيز للدعاية وإنتاج أفلام عن نوابهم الذين يستعدون للترشح وأصبحت لديه قاعدة من العاملين في هذا المجال، وبعضهم زملاء دراسة ففكر في تأسيس شركة إنتاج يعاونه فيها رابح وإغراء وحيد بالانضمام إليهما.

فوجئ السبع بالفكرة لكنه لم يستغربها، خاصة أنه قرأ الهباش مبكراً وأدرك أن تطلعاته كثيرة وأنه يسعى إلى تحقيقها بأي طريقة، بل قرر أن يمنحه مبلغاً يجعل بدايته أقوى بشرط واحد قاله في صورة نصيحة: لك عندي شيك ببلغ جيد، لكن لا تكرر اللعب مع «الإخوان».

كانت المفاجأة هذه المرة من نصيب الهباش فشرذ لحظات قبل أن يسأل: يعني إيه يا ريس، مش فاهم؟

- لا، فاهم، واوعى تتخيل أنك تكون شغال معايا ومعرفش إنك عملت شغل دعاية لمرشحين من الجماعة عن طريق هشام حسان.

أسقط في يد الهباش، فمجموعة الأفلام التي أنتجها عن أحد المرشحين المحتملين للجماعة عن طريق هشام حسان لم يعلم

بأمرها أحد من خارج مجموعة العمل وبعض أفرادها يعرفه كزميل دراسة له صداقات متشعبة وارتباط بـ“الإخوان” يبدو غير وثيق على عكس الحقيقة.

حاول الهباش أن يبرر عمله مع هشام حسان بأنه مجاملة لزميل دراسة لا أكثر، لكن السبع قاطعه بحدة.

- إذا حبيت تكمل في هذا البلد يجب أن تعلم أن كل إنسان فيها تقريباً عبارة عن ملف، خاصة إذا كان يعمل في “البيزنس” والإعلام. حاول أن تقلل الأوراق الموجودة في ملفك، وعلاقاتك لا بد أن تكون واعية ومحسوبة لأنها كلها تحت الأنظار. وما دمت على علاقة بي ولي مبلغ في عملك الجديد، ولو من باب الدعم وليس الشراكة، فعليك الحذر، ودائماً فكر في عواقب أفعالك.

انحنى الهباش لعاصفة السبع ولم يكرر التبرير:

- حاضر يا ريس، خطأ لن يتكرر، لكن كيف عرفت بعملتي مع هشام حسان؟

- سؤال لا يليق بذكائك وطموحك، لكن اعلم، إن لم تكن تعلم، أن هذا البلد دوائر متداخلة، مجرد انتمائك إلى دائرة واحدة لن ينفعك مهما كانت إمكانياتك، يجب أن ترتبط بعلاقات في كل الدوائر، لكن بوعي، خاصة إذا كانت الدائرة الأوسع والأقوى هي الأمن.

فهم الهباش ما يقصده السبع فهزّ رأسه موافقاً قبل أن يرفع

صوته بأداء مسرحي معروف عنه: ربنا ما يحرمناش من دروسك  
يا عمنا.

وصمت برهة وعاد ليسأل بنبرة منخفضة: هتوقع الشيك إمتي؟

\*\*\*

في مكتبه بالدور الأول في منزل العائلة الجديد، كان مجدي  
في استقبال وحيد ويوسف، صافحهما باسمًا وضم كلاً منهما  
إلى صدره وكرر مصافحته لوحيد مرددًا: حمدًا لله على السلامة،  
أهلاً ومرحبًا، تفضلوا.

جلس الثلاثة أمام المكتب الذي تعلوه صورة لمجدي يتحدث  
في مؤتمر جماهيري قبل الانتخابات، وأخرى في مجلس الشعب  
على منصة النواب ويبدو أعلاه رئيس المجلس.

لفت نظر وحيد الفرق بين ملامح مجدي في الصورتين، وكيف  
كان في الأولى مرهقًا ويبدو مستعطفًا للجمهور يضع يده على  
صدره كأنه يقسم أمامهم، وفي الثانية يرفع إصبعه متحمسًا  
لتكتمل اللقطة التي يبرهن بها كل نائب لأبناء دائرته أنه صوتهم  
في المجلس ويرد بها على كل من يسأل: ماذا قدمت لنا؟

بعد دقائق، هب مجدي لاستقبال آخرين أبلغه معاونه بوصولهم.  
مع دخولهم وقف وحيد ويوسف لتحييتهم.. كان الأخ محمود في  
مقدمتهم، وتبعه مجموعة من الشباب المرتبطين بالجماعة بينهم  
من تسبب في المشكلة مع عبد السلام.

تعانق الجميع ثم أخذ كل منهم مجلسه ودخل معاون مجدي  
بالشاي.

قطع مجدي حوارًا بدأ بين الموجودين ووحيد يسألونه عن  
الأحوال والعمل وأجواء القاهرة.

بدا كخطيب جمعة ونبرة صوته ترتفع عن المعتاد وهو ينقل  
عينيه بين وجوه الحضور: الحمد لله، والصلاة والسلام على  
رسول الله، أما بعد.

أرحب بأخويننا وحيد ويوسف..

قاطعهم محمود باسمًا: وحيد ويوسف فقط، هنيئًا لهما.

رد مجدي بابتسامة مماثلة وواصل كلامه:

- أنتم معنا كل وقت، إنما الأخوان وحيد ويوسف زيارتهما  
عزيزة، خاصة أن الأستاذ وحيد بدأ يغيب عنا طويلًا وخطفته  
القاهرة، نسأل الله له السداد في خطواته وأن ينفع به وأن يكون  
أحد الأصوات الصادحة بالحق.

نظر وحيد إلى مجدي شاكرًا له التحية بينما يؤمن الحضور على دعائه، واستكمل ما بدأه.

- كلكم يعلم بأمر ما جرى مع الحاج عبد السلام، وتتفقون معي على أنه كان خطأ يشكر له قبول الاعتذار عنه ونتمنى من الأستاذ وحيد أن يصفح إن كان في نفسه شيء ونثق في أن رجاحة عقله ستجعله يتفهم الموقف بحجمه الحقيقي، وهو أنه تصرف فردي وراءه حماسة ليست في محلها لا أكثر.

ركز مجدي نظره على وحيد مواصلاً: اعتذرنا للوالد الكريم في مجلس العمدة، وها نحن نكرر الاعتذار وكنا نتمنى أن يكون الحاج عبد السلام معك لكن خشينا من أن نثير شجونه مرة أخرى، وأرجو أن تنقل إليه تحياتنا وتقديرنا.

شكر وحيد للأستاذ مجدي حرصه على إنهاء الموقف بهذه الصورة المتحضرة، مؤكداً أن الجميع في الكفر أهل قد تعترضهم بعض المشكلات التي يمكن تجاوزها بالعقل.

قبل دقائق من أذان المغرب نظر وحيد إلى يوسف وهو يستأذن في الانصراف، فقاما مودعين قبل أن يدعوها الأستاذ مجدي إلى البقاء للصلاة معاً، لكن وحيد قال إنهما سيصليان في المسجد حيث يلتقيان الوالد لأنهما مرتبطان بموعد معاً بعد المغرب.

في طريقهما إلى المسجد، عبّر يوسف لوحيد عن إحساسه بأنه لم يلاقِ موقف مجدي بالقدر الكافي من الرضا والامتنان رغم

أن الرجل اعتذر مرتين.

فاجأه وحيد بالقول: شكرته، لكنه بالنسبة لي لم يعتذر إلا مرة واحدة.

اندهش يوسف متسائلاً: إزاي؟

- أنت تعرف احترامي للأستاذ مجدي والتقدير بيننا متبادل، لكن اعتذاره مرتين يعكس ازدواج شخصيته، وهو أمر لا يخصه وحده، بل ينطبق على كل أعضاء الجماعة.

استوضح يوسف بنظرة من عينيه فواصل وحيد: أبناء "الإخوان" يشبهون، كأفراد، بقية المصريين، فيهم الجيد والسيئ، الطيب والشرير، ويتصرفون مع الآخرين وفق طباعهم الشخصية، لكن الأمر حين يتعلق بالجماعة يتحولون إلى نسخة واحدة لا تستطيع أن تفرق بينهم وهم يرددون نفس المفردات ويستخدمون لغة جسد واحدة وساعتها لن يحرصوا على الاعتذار لمن أخطؤوا في حقه، لأنهم يتوهمون أنهم الأصوب دائماً ومصالحة الجماعة عندهم فوق غيرها وينتصرون لها حتى على حساب أقرب الناس إليهم.

- لكن الأستاذ مجدي رجل مؤدب ولم نر منه إلا كل خير منذ عرفناه.

- وهذا ما يؤكد كلامي عن اعتذاره مرتين، فعندما طيب خاطر والدي أمام العمدة كان يمثل الجماعة وحرصها على ألا تنشغل بمشاكل تؤثر على سمعتها قبل الانتخابات. وحين استقبلنا في

بيته اليوم هو يعبر عن تقديره الشخصي لنا، وهو ما شكرته عليه، إنما اعتذاره الأول سياسي لا معنى له عندي كحرص نائب الحزب الوطني على مجاملتنا في الأفراح والأحزان قبل الانتخابات فقط.

بدا الكلام وجيهاً ليوسف، فبدا حائراً بين رأي صديقه وحبه للأستاذ مجدي، فلم يعلق وكانا وصلاً إلى باب المسجد.

بعد الصلاة غادر يوسف إلى منزله بينما اتجه وحيد ووالده إلى منزل فتحي.

كان عبد السلام حريصاً على مشاعر جاره وصديقه الذي يدرك بلا شك أنه غضب لغضب ابنته، وإن لم يفصح عن ذلك.

وفي المسافة القصيرة بين المسجد والبيت، وجّه عبد السلام ابنه بأن يصلح منى ويداوي ما فعله، وهو ما استقبله وحيد صامتاً، فزاد قلق الأب.

وجد وحيد أمه في بيت فتحي تحتضن منى وتحاول إرضاءها، لكنها حين فوجئت به أسرعته إلى غرفتها، رغم محاولات أمها استبقائها.

استأذن عبد السلام صديقه في أن يدخل وحيد وأمّه إلى غرفة منى لمصالحتها وإعادتها قبل تناول العشاء وإلا لن يمسس منه شيئاً، فلم يمانع.

تمنعت منى في الرد على وحيد مرات، لولا أن عبد السلام الذي كان يؤثر الصمت في البداية استحلفها بنفسه أن تنهي الموضوع عند هذا الحد وقبّل رأسها سائلاً إياها أن تشاركهم الطعام وإلا غادر غاضباً منها، فخرجت معه.

بعد انتهاء السهرة كان فتحي راضياً وهدأت نفس منى، لكن عبد السلام عندما اختلى بوحيد في منزلهما عاجله بسؤال: ممكن تحدد لي موقفك من منى بالظبط وإحنا لسه على البر والناس دول حبايبنا مش عايزين نخسرهم.

كان السؤال في محله، فعبد السلام يشعر بروح ابنه المضطربة وينتظر منه فقط موقفاً حاسماً يحدد على أساسه طريقة تعامله مع فتحي، لأنه لا يريد لعلاقة عميقة ممتدة أن تتأثر إذا لم ينته موضوع وحيد ومنى إلى ارتباط.

لم يكن أحد من الجانبين تحدث في تفاصيل زواج أو مقدماته، لكنّ الأسترتين تتعاملان مع الأمر على أنه من المسلمات، قبل أن يلحظ عبد السلام تغييراً في ابنه.

وصدق شعور عبد السلام حينما أجابه وحيد: والله ما عارف أقول لك إيه يا حاج، عمي فتحي راجل طيب ومنى بنت كويسة، بس أنا في مرحلة مش عارف هتوديني على فين.. كل خططي مش واضحة، واللي عايزه مش عارف أبداً طريق إليه. تقدر تقول كده إن أنا في مفترق طرق، هشتغل إزاي؟ هسكن فين؟ مش

عارف ومحتاج وقت أرتب أموري. خليني لما آجي المرة الجاية أقول لك هعمل إيه.

وفأجأ وحيد أباه مرة ثانية: أنا هسافر بكره بالليل، محتاج فترة أرتب فيها أحوالي في مصر وبعدين يحلها الحلال.

كسا الحزن وجه عبد السلام وهو يعقب على ما قاله: ليه بكره يا ابني، مش تقعد معانا كام يوم؟

- لا يا حاج، أنا اتطمنت عليكم، بس فيه أمور لازم أحسمها في القاهرة.

كان عبد السلام يتعذب وهو يتيقن كل يوم أن وحيد حائر، وأدرك حاجته إلى الاختلاء بنفسه فلم يملك إلا أن يقول له: الله يكرمك يا ابني ويوفقك، ويعينك على اللي أمك هتعمله بكره لما تعرف أنك مسافر، بس ما تقلقش هفهمها أنا.

وكأنما تذكر شيئاً، نظر عبد السلام إلى ابنه متسائلاً: أمك وهنقدر عليها، طيب منى هتقولها إمتى؟

رد وحيد على السؤال بصمت ونظرات حيرى فتمتم أبوه: ربنا يجيب الخير.

قضى وحيد أياماً في القاهرة لا يغادر غرفته المطلة على ميدان التحرير، يجافيه النوم معظم الوقت فينتقل بين الكتب الملقاة بغير نظام في الأرض وفوق السرير ويتناثر فوقها رماد

السجائر، أو يراقب من الشرفة الحركة التي لا تهدأ في الميدان.  
كان حائراً مشتتاً بين جذر عميق في الكفر وفرع لا يزال هشاً  
في القاهرة، لا يعرف إن كان حقاً كسولاً كما اتهمه الهباش مرات،  
أم شخصاً لا يجيد قواعد اللعبة.

يعرف أنه يملك إمكانيات، لكنه لا يعلم إن كانت تكفي وحدها،  
رغم أنه لم يجربها كثيراً.

خاص في الأسئلة: لماذا لم تبحث مبكراً عن صحيفة تجرب فيها  
ما تعرفه؟ لماذا لم تصمد في تجارب أتاحت لك وكان يمكن أن  
تقود إلى ما هو أكبر منها؟ هل نفعك هروبك المتكرر أيام الدراسة  
إلى أحضان والديك وذكرياتك في الكفر بينما رفاقك يواجهون  
قسوة العاصمة ويعيهم التنقل في مواصلاتها وشوارعها بحثاً  
عن موطئ قدم في صحيفة أو قناة؟

لو غفرت لنفسك كل ذلك، ما خطتك الآن؟ هل عندك يقين  
بشيء؟ لماذا تترك نفسك نهباً للمصادفات؟ لم يعد متأكداً من  
أنه يحب منى، لكنه لا يكرهها، ويتساءل إن كانت علاقته بها أحد  
أشياء كثيرة نألفها بال تكرار ولا ندرك ذلك إلا بعد اختبار حقيقي.  
لام نفسه، لأنه يترك أموراً كثيرة بغير حسم ثم يفاجأ بعواقب لها  
لم يفكر فيها.

لم يخرج وحيد من هذه الحالة التي أسرته إلا طرقات على باب  
الغرفة عصرًا، فحينما فتحه وجد الهباش وحسن نادر يهتفان في

وجهه: طلع الفطير والبط يا مجرم.

عانقاه بشدة ثم مدا جسديهما على السرير وأخذا يقلبان في  
الكتب المتناثرة بينما يعد لهما شايًا.

بعد الشاي طلبا منه أن يتهياً للخروج وسأله الهباش عن  
عدم الاتصال به رغم أنه في القاهرة منذ أيام، وفاجأه أنه عرف  
بوجوده من أبيه بعد أن اتصل أمس يسأل عنه.

خشي وحيد من أن يفزع أبوه إلى حد أن يأتي إليه فكلمه من  
تليفون الهباش يطمنئه، وبعدها كان الثلاثة يغادرون الغرفة.

اقترح الهباش أن يتجهوا إلى شارع فيصل ليفاجئهما بأمر ما،  
بينما دعاهما حسن إلى أن يرافقه إلى المجلة، وهي الأقرب، أولاً  
ثم يقضيان السهرة في فيصل.

في صالة التحرير، دعا حسن صديقيه إلى الجلوس خلف  
مكتبي زميلين غائبين وطلب لهما قهوة قبل أن يشعل سيجارة  
ويبسط أمامه بعض الأوراق وجهاز تسجيل صغيراً أخرجه من  
حقيبة يده.

استأذنها في الانشغال عنهما عشر دقائق لإنهاء موضوع يجب  
أن يسلمه اليوم، فمدّ الهباش بصره في أعداد من المجلة موضوعة  
على المكتب، بينما سرح وحيد في لوحات متناثرة على الجدران  
بعضها مما يباع والآخر من إبداع رسامي المجلة.

وجد فيروز والعذراء وأم كلثوم ونجيب محفوظ وأحمد زويل  
وبطرس غالي وصلاح جاهين ونيلسون مانديلا وعبد الناصر  
وهيكل وأمل دنقل وصلاح عبد الصبور. وفوق أحد المكاتب تطل  
صورة فرح منصور ممسكة بسيجارة في يد وقلم في الأخرى،  
وفي عينيها بريق داعب قلب وحيد.

قطع عامل البوفيه الذي تسبقه رائحة القهوة ما يفعل الثلاثة،  
وبعد أن وضع أمام كل منهم فنجانه أشعلوا سجائر فاختلفت  
رائحتا الدخان والبن.

سحب الهباش نفساً من سيجارته وابتسم وهو ينظر إلى وحيد  
قائلاً باندھاش: تعرف إن فيه موضوعات كثير في المجلة كنت  
أنت اقترحت نعملها في القناة وأنا قلت لك مكلفة والسبع مش  
هيوافق عليها لأنه ما عندوش رغبة في توسيع نشاط القناة وانها  
تفضل شوية في خدمة الانتخابات والمناسبات بس..

اشتعل الفضول في عيني وحيد وهو يسحب أعداد المجلة من  
أمام الهباش ويمر على العناوين المقدمات ثم نظر إليه قائلاً:  
وفيه موضوعات بنفس الأفكار أنا كاتب لك "السكريبت" بتاعها  
ومركونة في درج مكتبك في «المدى».

رفع حسن نادر رأسه ووضع القلم فوق الأوراق وسألها  
ضاحكاً: أنتوا جايين هنا تقطعوا في المجلة وشغلها؟ خلاص  
يا عم وحيد عرفنا أن أفكارك سابقة، بس زي ما بيقولوا الأفكار

ملقاة على الطريق، واللي سبق نفذ.

رد وحيد بمزيج من الدعابة والجدية: أفكارى ملقاة في مكتب الهباش، بس مش مشكلة، أهو دلوقت بيكفر عن ذنبه وبيعترف أن أنا بفكر مش كسول..

علق الهباش بصوت مرتفع كعادته: لا كسول، بس ده ما يمنعش إنك بتفهم وعشان كده هتشتغل معايا في الشركة الجديدة.

سأله وحيد متعجبًا: شركة إيه؟

- شركة إنتاج فني وإعلامي، ودي المفاجأة اللي كنت مجهزها لكم في فيصل.

دخل حسن نادر على خط الحوار بسرعة: من أين لك هذا يا هباش؟

استمهلها الهباش في حكاية التفاصيل وهم يتجهون إلى فيصل، مفضلًا حسم الاتفاق مع وحيد لإنقاذه من كسله كما قال ضاحكًا.

انتظر حسن نادر أن يرد وحيد، فلما لم يفعل تدخل هو قائلاً للهباش: ممكن تسيبك من الراجل ده، سكتكم مش واحدة.

استغرب الهباش جدية حسن نادر التي بانته في جملته الوحيدة فنظر إليه مستغربًا، بينما وحيد صامت.

واصل حسن حديثه كأنه في مرافعة عن وحيد المحبوس

في قفص أفكاره محاطاً بدخان سيجارته: الراجل ده معجون أفكار ومشاعر، وأنت رأسك كلها أفكار برضه بس مخلوطة بـ «بيزنس»، مش ممكن هتتفقوا، وهو بيظلم نفسه أكثر لو استمر في كسله واستسلامه للريح تحطه مطرح ما تحطه.

وحيد محتاج مساحة تستوعب اللي جواه، حيرته دي ضيقت ناس كثير وتاهت مشاريعهم في الزحمة، واجبك كصديق تدله على طريق واضح مش تخليه يغرق أكثر.

لم يعقب الهباش على كلام حسن نادر الذي وضعه أمام نفسه وكان أول إشارة في مسار علاقتهما إلى أنانيته، أما وحيد فسخر من نفسه وهو يرى مصيره يتأرجح بين صديقين بينما يتفرج هو.

في غمرة هذا الشعور، أكبر وحيد لحسن نادر موقفه رغم أن علاقته به قصيرة ووجد نفسه يسأله: وأنت شايف إيه؟

- شايف إنك لازم تبدأ شغل معانا قريب في المجلة، وسيب الموضوع ده عليّ.

زاد امتنان وحيد الصامت لحسن، لكنه عاد إلى نفسه يعاتبها على ترددتها ويسأله: هل كان البحث عن فرصة في المجلة أو غيرها ينتظر هذه المواجهة بين حسن والهباش وكل هذا الوقت الذي ضاع؟

\*\*\*

أصبح ظهور الدكتور جمال أبو المجد في الكفر والقرى المجاورة حديث الدائرة، وبدأ جدال حاد في التجمعات، خاصة بين الشباب، يتكرر ومعه بدأت سخونة الانتخابات مبكرًا.

لم يعلن الدكتور جمال أو أي أفراد الدائرة الضيقة المحيطة به نيته الترشح، وكان ذلك جزءًا من حملته التي يعاونه فيها عن بعد عدد من أصدقائه الصحفيين والإعلاميين.

وكانت الخطة أن يتسلل بتمهل إلى قلب الدائرة وعبر أنشطة تبدو غريبة عليها، وتركت رعايته لعرس جماعي لعدد من أبناء الكفر والقرى الأخرى أصداء إيجابية، فمصطلح «العرس الجماعي» كان كافيًا وحده في البداية لإثارة الاهتمام.

أعلن مساعدو الدكتور جمال في البداية أن كل من يستعدون لإتمام الزواج يمكن أن يوفروا مصاريف إقامة أفراح فردية، فهو متكفل بنفقات فرح مشترك يراعه المحافظ وتقدم من خلاله شركات عدة هدايا قيمة للأزواج الجدد.

ولما بدأت خطوات التنفيذ اتسعت مساحات الدهشة والانبهار، فالمحافظ شخصيًا حضر العرس الذي جمع 50 عريسًا وعروسًا

وصافح العرسان والتقط الصور معهم بعد كلمة مقتضبة حيّ فيها فكرة الدكتور جمال وجهوده لتنفيذها.

وفوجئ حضور الفرحة بوجوه مألوفة تعطي المسرح بعد كلمة المحافظ وتبدأ في تقديم فقرات مسبقة بتحية السيد المحافظ والدكتور جمال، وبدأت التساؤلات عن قدرته على دعوة هذا العدد من الفنانين الشعبيين والممثلين ولاعبي الكرة.

قبل نهاية الحفل، صعد الدكتور جمال إلى المسرح وشكر المحافظ وداعمي الحدث وبارك للأزواج الجدد وعائلاتهم وكل أهالي الدائرة.

كلمة «الدائرة» جعلت الخبراء في العملية الانتخابية يتوقعون قرب ترشحه، فلا مبرر لاستخدامها غير ذلك.

وقبل الختام كانت المفاجأة التي صفق لها الحضور طويلاً وهي دعوة الأزواج الجدد إلى قضاء أسبوع مجاني في قرية الدكتور جمال السياحية بالبحر الأحمر.

الفرحة الجماعي وما تلاه من تكريم أوائل الشهادات وبطولة رياضية ودعوة فريق برنامج أسبوعي على القناة الأولى لتصوير حلقة في القرية، ثم بث صلاة الجمعة على إذاعة القرآن الكريم من المسجد الكبير وتكرار إعلان المذيع أن ذلك بدعوة من الدكتور جمال أبو المجد، الخبير السياحي وابن الدائرة، كلها كانت مقدمات لترشيح لم يعلن عنه، لكنه أربك حسابات كل الأطراف.

نائب الحزب الوطني بدا منزعجًا، لكنه لم يجرؤ على مهاجمة الدكتور جمال علناً بعدما استشعر أن خطوات الرجل في الدائرة محسوبة ومسنودة من فريق ما في الحزب، وبالضرورة في الأمن.

حاول الرجل أن يبيث شائعات على أسنة معاونيه وأقاربه وتساؤلات عن ثروة الدكتور جمال وشركاته في أكثر من مجال ومصدر ذلك رغم أنه من أسرة فقيرة، وسر ظهوره المفاجئ في الدائرة التي لم يشاهده أحد فيها منذ غادر إلى الإسكندرية للدراسة في جامعتها.

كان الأمن يعرف مصدر الشائعات والتساؤلات ولكنه ترك لها براح الانتشار، بل غذاها في بعض الأوقات، لأنه كان يعرف أنها ستطرح بالضرورة مع الإعلان عن ترشيح الدكتور جمال ولا بد أن تجد إجابات تخمدتها، أو على الأقل تضعفها مبكرًا.

وكانت الإجابات جاهزة وتتمحور حول عصامية الرجل وعمله سنوات في أوروبا والخليج ما ساعده على جمع ثروة بدأ بها شركة صغيرة في القاهرة أصبحت عدة شركات في مجالات متنوعة، قوامها السياحة والإعلام، وعلاقات واسعة في كل اتجاه.

بدأ «الإخوان» في التهيؤ لمشهد انتخابي جديد، وأدركت الجماعة وهي تتدارس وضع الدوائر في الانتخابات المنتظرة، أن المقدمات في دائرة الأخ مجدي تقول إن الدكتور جمال سيكون ضلعًا رئيسًا فيها، بل إنه قد يهدد وجوده كنائب للجماعة.

تعددت اجتماعات مسؤولين في الجماعة عن التحرك

الجماهيري وتمويل مرشحي الجماعة ونوابها في الدلتا في أماكن عدة بحضور مجدي.

بعضهم اقترح التفاهم مع نائب الحزب الوطني ومشاركته الهجوم من بعيد على الدكتور جمال والتشكيك في ثروته وأعماله وبث أن هذا «المرشح الأمريكي» الذي لا يرتدي إلا البدلة الكاملة ويتحرك بسيارة فارهة وسط حراس ومساعدين لا يناسب دائرة في قلب الريف المصري ولا يعرف عنها ما يعرفه من يعيشون فيها ويشتبكون مع مشاكلها.

الأغلبية كانت ترى أن الدكتور جمال رهان الحزب الوطني الجديد في الدائرة، خاصة أن بعض قياداته تسعى، وسط مقاومة من مسؤولين فيه وكبار العائلات، إلى تغيير صورة نوابه تدريجياً في معظم الدوائر والاعتماد على نماذج تبدو عصرية ومغايرة للوجوه التي ضج الناس من جهلها أو جرائمها باسم الحصانة أو الشبهات المثارة حولها.

وكان من توقعات هذا الفريق أن يزيح الحزب نائبه القديم ويرشح الدكتور جمال وأنه لا مبرر لخصومة مبكرة معه ما دام لا يمس مصالح الجماعة ولا يهاجمها، وأنه يجب الانتظار حتى تتضح الصورة أكثر.

كان هذا الرأي مبنياً على خبرة سياسية وبعض الإشارات من مسؤولين في أجهزة أمنية يتواصلون مع الجماعة في بعض المحافظات.

رجح الرأي الذي يحبذ الانتظار مع فتح خط للاتصال غير المرئي مع الدكتور جمال في محاولة لإبقائه على حياده تجاه الجماعة والتنسيق معه إذا اقتضت الضرورة بعد ترشيحه.

المفاجأة الأخرى التي أربكت الحسابات وزادت الجدل في الدائرة جاءت بإعلان الحاج هلال جمجوم نيته الترشح، فلا شيء، كما قال وسط عدد محدود من أقاربه، ينقصه، فثروته تكفي لتمويل عشر حملات انتخابية، وعائلته الكبيرة من أشهر عائلات الكفر ولها ارتباطات متشعبة مع عائلات أخرى بحكم النسب والتجارة، ورصيده في خدمة الناس عبر رئاسة الوحدة المحلية يمكن الرهان عليه، رغم أنه فشل لسنوات في إقناع الحزب الوطني بترشيحه على قوائمه.

زيّن الأقارب للحاج هلال الفكرة، واعتبر أحدهم أن الانتخابات المقبلة فرصة مواتية للنفاز إلى مجلس الشعب، فأصوات العائلة التي رجحت كفة المرشحين خلال عقود طويلة يمكن أن تنفع ابنها هذه المرة، وعلاقتها مع كبار العائلات في الدائرة ستضمن أصواتاً في بقية مناطقها.

قريب آخر زاد على ذلك أنه يجب التركيز على الخصومة بين «الإخوان» والحكومة وأن الجماعة مجرد عصابة تعمل في الخفاء، للنيل من نائبها مجدي.

حاول الحاج هلال، ربما رغبة في أن يجد من يصده عن فكرة

الترشح، أن ينبه أقاربه إلى الوجه الجديد: الدكتور جمال، وهذا الدعم الحكومي لأنشطته رغم أنه ليس عضواً في الحزب الوطني، ولم يعلن رغبة في خوض الانتخابات.

هوّن أقارب الحاج هلال من ظهور الدكتور جمال قائلين إنه من عائلة بسيطة لا تأثير لها ولا يتفوق عليه في جانب المال رغم تعدد شركاته، وإن نائب الحزب الحالي لن يسمح بانتزاع المقعد منه مهما كلفه الأمر.

انتهت المشاورات بأن تتحرك العائلة ترويجاً للحاج هلال على مسارات عدة، فمن جهة تساند نائب الحزب الوطني في حملته على الدكتور جمال، وإن نجحت في إقناع الحزب بالتخلي عن النائب نفسه وترشيح ممثل العائلة فذلك جيد، أو يترشح مستقلاً، ومن جهة أخرى تركّز على إبراز أن نائب الجماعة لا يفعل شيئاً لأبناء الدائرة، لأن الحكومة لا تساعد أعضاء مجلس الشعب من «الإخوان» ولا توافق لهم على أي مشاريع، وبالتالي وجودهم ضد مصلحة الدائرة.

مع هذا التطور، عادت اجتماعات الجماعة لدراسة الموقف، وانتهت إلى أن ما يستدعي الانتباه والاستعداد هو تطور موقف الدكتور جمال، أما الحاج هلال فلا خوف منه.

\*\*\*

انشغل الهباش في شركته مع قرب احتدام المنافسة الانتخابية، واستجابة لشرط محمود السبع، رفض التعامل مع زملاء يعملون مع نواب من «الإخوان» أو مرشحين محتملين للجماعة أو على صلة بها.

كان السبع يختبر الهباش بهذا الشرط وراقب التزامه به، فلما وجده رفض هذه العروض عوضه بطريقته، إذ رشح الشركة لعدد من أصدقائه رجال الأعمال والنواب لتتنجز لهم أعمال الدعاية، وكان العائد مجزيًا.

أما وحيد فجاء عمله في المجلة بمثابة حياة جديدة له وبقي ممتنًا لحسن نادر ولا يترك فرصة إلا ويعبر عن ذلك.

ورغم حداثة وجوده في المجلة، كانت موضوعات وحيد عبد السلام تترك أثرًا في نفس قارئها، فقاموسه اللغوي بدأ مدهشًا مطواعمًا تغلب عليه مسحة إنسانية، لذلك أثر رئيس التحرير تكليفه بعد أن جربه في موضوعات متنوعة بالحوارات، لأنها تحتاج إلى هدوء في مواجهة أبطالها وكسب ودهم حتى يتشجعوا على البوح بتفاصيل جديدة وجاذبة للقراء.

بدأت حياة وحيد تختلف، زاد نشاطه وعمقت الحوارات التي أجراها للمجلة علاقاته بطيف واسع من الفنانين والأدباء ولاعبي

الكرة وقدامى الساسة والوزراء والنواب. أما حسن نادر فاستمر في جولاته بالمحافظات والقاهرة ينبش في مكامن الصناعات والتجار وأسرار الحرف والمباني التاريخية، ويقدم عبر حلقات مصورة تفرد على قلب كل عدد من المجلة قراءة جديدة لتاريخ مصر والمصريين بالأسنة مصادر غير مألوقة.

مع أول دفعة مرشحة للتعيين، وضع رئيس التحرير اسم وحيد عبد السلام الذي بدأت زيارته للكفر ومكالماته مع منى تقل، حتى أصبحت العلاقة في انتظار رصاصة أخيرة.

يوم صدور قرار تعيينه، اتصل وحيد بأبويه يبلغهما بالخبر، فسمع زغرودة من أمه التي التقطت سماعة الهاتف أولاً، لكن فتوراً غلف مكالمته مع أبيه الذي كان قرر أن يزوره في القاهرة ليحسم معه أمر منى.

في اليوم التالي، استقبل وحيد أباه في مكتبه بالمجلة، طال عناقهما، وبعدها بقي عبد السلام صامتاً لفترة بينما ينتظر وحيد أن يبدأ الحديث الذي يعلم فحواه.

أخذ عبد السلام رشفة من الشاي ثم أزاح الكوب فرفعه وحيد يتذوقه قبل أن يسأل أباه: الشاي خفيف يا حاج ومش عاجبك، صح؟

فاجأه أبوه بحدة غير معهودة في علاقتهما: لا، الشاي كويس، بس أنت اللي مش عاجبني.

أطرق وحيد بغير جواب بينما واصل أبوه:

- أنا وأمك أسعد اتنين في الدنيا بإن ربنا كرمك وبدأ طريقك  
تبان ملامحه، بس مش التمن إن أنت تبعد عننا وأنت وحيدنا  
وعكازنا وكمان تعجزنا قدام الناس اللي بنحبهم.

عرف وحيد ما يقصده أبوه فحاول أن يدافع عن نفسه، لكن  
عبد السلام جنبه عناء ذلك:

- موضوع منى أنا شايف نهايته من زمان، صحيح إنه مفيش  
حاجة رسمية ربطتنا بالناس بس الأمور كانت ماشية في سكة  
أنت قطعتها من غير ما تراعي عمك فتحي عشرة العمر ولا مشاعر  
منى. وعمومًا، ما تقلقش، أنا هعالج الموضوع بطريقتي. وأنت  
ركز في طريقك وربنا يكتب لك الخير.

أزاح عبد السلام عن ابنه عنه عبء التصريح بالقرار أو اتخاذه  
من الأساس، قبل أن يستأذن للعودة إلى الكفر.

وبينما يهم بالوقوف، دخل حسن وفرح وعلى وجهيهما علامات  
بهجة بادية، فلما فوجئًا بفلاح يقف أمام وحيد حسباه قارئًا  
يقصده في أمر ما.

عاجله حسن: إيه يا عم وحيد، جاهز لليلة الحمرا؟

امتقع وجه عبد السلام وأدار ناظريه بين الاثنين وقاوم وحيد  
خجله وإطراق رأسه في الأرض بمجرد أن سمع الجملة، وقال

لأبيه: حسن وفرح زمايلي وعاملين لي حفلة النهاردة بمناسبة  
التعيين. وبسرعة نظر إلى حسن ليقطع الطريق على أي تعليق  
منه قائلاً: الحاج عبد السلام، أبويا.

صدم حسن وأدرك المأزق الذي وضع فيه وحيد بتعبير «الليلة  
الحمرا» فسارع إلى التصحيح.

- أهلا يا حاج، إحنا فرحانين بوحيد وعاملين له حفلة صغيرة  
فيها أكل ومشروبات وكده، ولأن الفرحة على طول مرتبط بشربات  
بنقول على أي احتفال ليلة حمرا...

والتفت إلى فرح محاولاً تلطيف الأجواء: مش كده ولا إيه يا  
شربات، قصدي يا فرح؟

كان وجه فرح الأكثر احمراراً؛ خجلاً مما جرى ومن مجاهدتها  
كتم ضحكات صنعتها المفارقة لكنها خافت من إطلاقها احتراماً  
لوجود والد وحيد.

وقبل أن ترد فرح، تحرك عبد السلام تاركاً المكتب وهو يقول:  
ربنا يوفقكم.. السلام عليكم.

لحق وحيد بوالده عند المصعد وألح عليه أن يوصله إلى الموقف  
فسأله أن يعود إلى زميليه، مؤكداً أنه يعرف طريقه جيداً.

عاد وحيد إلى حسن وفرح فوجدهما غارقين في ضحك مكتوم  
فضحك بدوره حتى دمعت عيناه.

وبعد دقائق وقفت فرح وهي تجاهد لاستعادة الجدية وسألتهما:  
مش يلا بينا ولا إيه؟ جعنا.

غادر الثلاثة المجلة، ثم عبروا الشارع متجهين إلى وسط البلد.  
بعد دقائق، كانوا في مدخل عمارة من طراز أوروبي قادهم إلى  
لافتة بضوء متقطع تحمل اسم «مطعم ليالي زمان».

رحب شاب أنيق على الباب بحسن وفرح ففهم وحيد أنهما من  
الزبائن المعروفين في المطعم، وأشار لهم مع انحناء خفيفة  
بأن يتفضلوا حيث أرشدهم شاب ثانٍ إلى مائدة في أحد أركان  
المكان الهادئ الذي تنبعث منه موسيقى خافتة ويتحدث رواه  
بهدهوء فلا تكاد تسمع لهم صوتاً.

سحب النادل الشاب كرسيًا لتجلس فرح أولاً وتبعها في الجلوس  
حسن ووحيد الذي راح يقلب ناظره في سقف المكان وجدرانها،  
بينما حسن وفرح يتهامسان وبينهما قائمة الطعام.

اختار الثلاثة ما يأكلونه. فضلت فرح أن تأكل حمامًا قائلة إن  
الأكل في الصين التي قضت فيها الأسبوعين الأخيرين موفدة من  
المجلة أربك معدتها، ولا بد من دواء مصري، ولا خير من الحمام.  
وختمت فرح بضحكة رائقة، بينما كانت تسحب من حسن ما  
تبقى في سيارته لتأخذ منها عدة أنفاس قبل أن تضغط عليها  
برفق لتطفئها في منفضة يعلو زواياها الأربع أشكال فرعونية  
صغيرة كأنها حراس على مقبرة، لكن للسجائر.

ابتسم حسن قبل أن يسأل وحيد: وعلاج معدة العزاب المتبهدين  
في الأكل إيه يا عمنا؟

رد وحيد وهو يطلق ضحكة ممزوجة بالشجن: دواؤنا الداء،  
الشر الذي لا بد منه.. الزواج يا عمنا، أحسن ما نقضيه ليالي حمرا  
زي أبويا ما بيفكر دلوقت.

تذكر حسن وفرح ما حدث مع والد وحيد فأطلقا ضحكات بدت  
أعلى من إيقاع المكان فالتفت إليهم عدد من رواده.

روى وحيد ما حدث قبل قدومهما إلى المجلة، وأنه ما سيزيد  
وساوس والده أنه كان يحدثه في موضوع منى وكيفية إنهاءه  
بشكل ينتصر للعلاقة الطيبة مع أسرتها.

وعبر عن خشيته من أن ثقة أبيه فيه لن تمنعه بعد أن سمع  
تعبير «الليلة الحمرا» من التفكير في احتمال ارتباطه بفتاة أخرى  
أو دخوله في علاقات نسائية ألتهته عن منى.

أبدت فرح بعض الاهتمام لكلمات وحيد، وسألته وهي تنظر إلى  
حسن كأنها تستأذنه في التدخل:

- وأنت ليه عايز تنهي موضوع منى.. اللي أعرفه أن بينكم  
قصة حب وفي حكم المخطوبين، وعيلتك وعيلتها بيتعاملوا على  
هذا الأساس؟

أشعل وحيد سيجارة قبل أن يرد:

- بينا قصة حب دي مسألة بحاجة للمراجعة، دلوقت بقيت مش متأكد إن اللي كان بينا قصة حب ولا اعتياد ولا أوهام.. المهم إن إحساسي بجدوى العلاقة بيقل ومش شايف لها مستقبل، فلازم تنتهي.

مرة أخرى، سحبت فرح سيجارة حسن لتكمل تدخينها، وهو يحاول منعها قبل أن يستسلم لرجاء من عينين يشع منهما الحب. نفثت دخان أول نفس من السيجارة ومعه سؤال جديد لوحيد:

- طيب مش من حق البنات الغلبانة اللي هناك دي تعرف، وكنت صارحتها من أول ما وصلت للقناعة دي عن علاقتك بيها، على الأقل ما تنجرحش وهي شايفة اهتمامك بها بيقل؟

أخبرها وحيد أن والده كان يشعر بمآل هذه العلاقة وأنه قرر أن ينهيها بطريقته مع صديقه فتحي والد منى.

أطفأت فرح السيجارة بغيظ وهي توجه سؤالاً إلى وحيد لكن بقدر من الحدة: أنت هتفضل كده لغاية إمتى؟

اندھش حسن ووحيد من طريقة السؤال فتبادلا النظرات قبل أن تواصل فرح:

- بعد التخرج سبت نفسك للهباش ورحت قعدت في قناة تافهة معطل موهبتك اللي بانتي قد إيه كبيرة لما حسن ساعدك في موضوع المجلة. لما ركزت في الشغل نسيت الكفر ومنى فترة لغاية أبوك ما اضطر يجيبك. وعلاقتك بالبنات المسكينة سايبها

للصدف والظروف ولما حبيت تنهيتها انتظرت أبوك برضه يتولى  
رسم مشهد النهاية وقاعد تبرر لنفسك بكلام عن الاعتياد والأوهام.

معلش يعني، فيه لونين في الحياة اسمهم الأبيض والأسود،  
لازم تختار واحد منهم بدل استسلامك الغريب للون الرمادي اللي  
هيضيعك.. أنت، وسامحني يعني، سلبي و....

كان رد فعل فرح خارج توقعات حسن الذي لم تنفع نظراته  
إليها في إيقافها، بينما بدأ وحيد يغضب فجمع سجاثره والولاعة  
والمفاتيح وخرج سريعاً من دون أن ينطق بكلمة.

\*\*\*

اجتاحت حمى الانتخابات الكفر وبقية مكونات الدائرة، لكنه  
بقي مركز المعارك بحكم أن مرشحين، أحدهما لا يزال محتملاً  
هو الحاج هلال ونائب الجماعة مجدي، ينتميان إليه، بينما  
الدكتور جمال من قرية مجاورة، مثله مثل عضو مجلس الشعب  
عن الحزب الوطني.

بدأت ملامح المنافسة الشرسة تبين، وأشعل نارها أنصار الحاج  
هلال الذين ابتدؤوا حينما تبينوا أن مخططاتهم الخفية للدس بين  
المتنافسين وإحداث الواقعة لن تجدي، خصومات مباشرة مع كل  
الأطراف: نائب الحزب الوطني، و"الإخوان"، والدكتور جمال.

بدأت العائلة الترويج لفكرة فشل نائب الحزب الوطني واهتمامه  
بحماية مصالحه دون الالتفات لخدمة أهالي الدائرة، وهو ما

أزعج قيادات الحزب في المحافظة، خاصة أن الحاج هلال يرأس الوحدة المحلية للكفر، فحذروه من المضي في هذا الاتجاه.

هذا الانزعاج فسره الحاج هلال والمحيطون به على أنه علامة قوة وتهديد وبداية وضعه في الحسبان، ما جعلهم يمضون في خطة الهجوم.

كانت الركيزة الأساسية لمجدي نائب «الإخوان» هي الخطاب الديني الذي يجذب عددًا من الشباب، وتخيل أنصار الحاج هلال أن التذكير الدائم بأن الجماعة تعمل في الخفاء وتناصب الدولة العداء يمكن أن يخيف الأهالي على أبنائهم من الاعتقال وترصد أمن الدولة بهم.

وبدأ تركيز حملة الحاج هلال على تبيان أعماله الخيرية ومساعداته لأسر كثيرة لوجه الله، وأن هذا أهم للإسلام من إطلاق اللحي وتقصير الثياب وجر الشباب إلى أنشطة تعطلهم عن مستقبلهم وتحرم الوطن من طاقاتهم.

ترافق ذلك مع محاولات تشويه الدكتور جمال بحجة أنه بعيد عن الدائرة منذ سنوات ولا يعيش تفاصيل معاناة أهلها وأنه هبط على المشهد فجأة طمعًا في حصانة تحمي أعماله المحاطة بالشبهات.

وضعت خطة الهجوم على الجميع الحاج هلال في قلب النار، وكانت أصوات أنصاره المؤيدة لهذا التوجه أقوى منها، فأفلتت

منه الأمور.

كل طرف من الثلاثة، بما فيها «الإخوان»، تحدث إلى أصدقائه في الأمن والحزب الوطني للتحذير مما يفعله الحاج هلال وما قد يقود إليه من خلافات بين العائلات، ومصادمات بين الشباب الذين ينقسمون في التأييد بين مجدي نائب الجماعة والدكتور جمال. كانت التحذيرات تتوالى للحاج هلال، لكنه كان وضع نفسه في قلب النار وقرر عدم التراجع، لأنه حتى لو انسحب من المنافسة لن يتركوه.

وبعد تأليب الأمن والحزب عليه، بدأت مكائد منافسيه تلاحقه وتكبده خسائر واضحة. أولى الخسائر كانت قطعة أرض كبيرة مجاورة ورفض الحاج هلال التبرع بها لتوسعة مسجد يجاورها، لأن موقعها على الطريق الرئيس لا يمكن التفريط فيه.

استغل نائب الحزب الوطني وفاة الشيخ عبادة أحد مجازيب القرية فأوعز إلى مؤيديه أن يضعوا النعش في قطعة الأرض حين يمرون عليها في الطريق إلى المقابر ثم يشيعون أن «الميت المبروك» يرفض الانتقال من هذه الأرض ولا بدّ من بناء مقام له فيها.

التف مؤيدو النائب حول النعش ولم يتركوا لأحد فرصة الاقتراب منه خلال الجنازة، وعندما وصلوا إلى أرض الحاج هلال اخترقوها وتحلقوا حول النعش في وسطها وهم يقسمون أن

جثمان الشيخ عبادة ثقل عليهم فلم يعودوا قادرين على حمله، ثم أخذوا في التكبير قائلين إن المبروك اختار مكان دفنه.

قليلون من فهموا المكيدة التي ما إن وصلت إلى الحاج هلال حتى بهت، لأنه أصبح في مأزق، فإذا خالف إرادة الأهالي في دفن المبروك بأرضه سيسخط عليه البسطاء المؤمنون بالكرامات ويتوقعون له عقاباً، وربما يستغل أعداؤه ذلك فيشعلون في أرضه أو منزله النيران أو يحرقون مزرعة المواشي ويشيعون أن هذا هو العقاب، وإذا قبل الأمر فخسارته في الأرض كبيرة.

لم يجد الحاج هلال بدءاً من الاستسلام، فسارع إلى قطعة الأرض وفاجأ المتجمعين فيها بتحملة تكلفة بناء المقام وإقامة مولد سنوي للشيخ عبادة.

هلل المشيعون لما أعلنه وبدأ أنصاره يهتفون: «لا إله إلا الله. الحاج هلال حبيب الله» وشرعوا في حفر قبر يقام حوله المقام، فانسحب مؤيدو نائب الحزب الوطني قانعين باللطمة التي وجهوها إليه.

لم تترك للحاج هلال فرصة رد اللطمة، إذ توالى عليه المكائد والمصائب. مشروعات كثيرة سعى في إنجازاتها للكفر تعطلت في أدراج مسؤولين، وساطاته للإفراج عن بعض أبناء الدائرة المتهمين في قضايا بسيطة لم يقبلها ضابط النقطة أو مأمور المركز.

حتى عندما تدخل بين بعض المتعاركين على حدود الأراضي والبيوت بتعويض طرفي كل مشكلة مالياً، افتعل له «الإخوان» ونائب الحزب الوطني خلافات بين أنصارهما لاستنزافه بالسعي في حلها.

أدرك الحاج هلال أنه أخطأ في إدارة المنافسة وأن أقاربه ورطوه في معارك لا معنى لها، وأيقن أن الحزب لن يأتي به مهما فعل، فاستعد للاستمرار مستقلاً.

الحزب أسقط من حساباته أيضاً نائبه وقرر الدفع بالدكتور جمال في مواجهة نائب «الإخوان»، فلم يجد الحاج هلال ونائب الحزب إلا التحالف ضدتهما في ما يشبه الانتحار.

علم «الإخوان» بترشيح الدكتور جمال قبل إعلانه بأيام من مصادر داخل الحزب، فسارعوا إلى اتصال معه، لكن خارج الدائرة.

في قرية الدكتور جمال بالبحر الأحمر، انعقدت عدة لقاءات بين أحد أقاربه وصديق له من أقارب الأستاذ مجدي يعملان فيها ليبدو جلوسهما معاً طبيعياً.

تعددت الجلسات، وعقب كل واحدة كانت خلاصتها تنقل هاتفياً إلى الطرفين في الدائرة بشكل لا يفهمه أحد غيرهما، وانتهت الأمور باتفاق على تنسيق كامل في الانتخابات بحيث يدعو كل طرف كبار أنصاره إلى الترويج لفكرة انتخاب كل منهما الآخر

دون التصريح بأي علاقة بينهما.

اكتملت الصفقة بنجاح المرشحين، وحاول أنصار الحاج هلال والنائب السابق إفساد فرحة الأستاذ مجدي والدكتور جمال، لكن مؤيديهما ورجال الأمن كانوا يتحسبون لذلك، فقطعوا عليهم طريق المبادرة إلى أي فعل عدائي، حتى استسلموا وتواروا عن الأنظار أيامًا يتجرعون مرارة الهزيمة.

\*\*\*

كانت الانتخابات موسم خير وفير للهباش نقله درجات، ولم يضيع فرصة بعدها، إذ أدرك أن عليه أن يفتح نوافذ جديدة للعمل تدر دخلاً يضمن بقاءها، فالانتخابات لا تتكرر إلا كل أربع سنوات وأعمال الدعاية الأخرى تسيطر عليها شركات كبرى لا يستطيع الآن منافستها.

فكر الهباش في إنتاج أفلام وثائقية بعد أن علم أن قناة خليجية تشتريها بمبلغ كبير. فتش عن شخص يقوده إلى المسؤول عن مكتب القناة في القاهرة حتى وجد صديقاً من أيام الجامعة يعمل فيه وكان وسيطاً له في الموضوع.

اتفق الهباش ومدير المكتب على موضوع الفيلم الأول: ”ثمن الحصانة“ لرصد ما يدفعه المرشحون في سبيل الحصول على مقعد في البرلمان وكيفية استرداده خلال سنوات العضوية.

خلال أسابيع كان الفيلم جاهزاً، وبعد التنويه عنه لأيام بدأت القناة إذاعته فقامت الدنيا ولم تقعد.

كان محتوى الفيلم صادماً، والأنكى أنه تضمن مقاطع بهت الهباش ومدير المكتب عند مشاهدتها، لأنها لم تكن في النسخة المرسلة إلى مقر القناة الرئيس في العاصمة الخليجية.

احتوى الفيلم على أرقام ضخمة بلا مصدر لإنفاق النواب على شراء الحصانة، لكن التركيز كان واضحاً على نواب الحزب الوطني، خاصة رجال الأعمال المرتبطين بالنظام.

انزعج محمود السبع من أن الفيلم من إنتاج الشركة؛ اتصل بالهباش غاضباً ومتعجباً من إصراره على الوقوع في أخطاء تكلف الكثير رغم تحذيره له حينما تعامل مع ”الإخوان“ في أعمال دعائية.

توقع السبع، وهو يهاتف الهباش الذي أقسم مراراً أنه لا يعرف شيئاً عن نسخة الفيلم التي عرضت، غضبة كبرى من جهات أمنية ورجال أعمال قد يعرفون صلته بالشركة.

ولم تمضِ ساعات حتى تلقى اتصالاً من ضابط في أمن الدولة يطلب مقابله في مقر جابر بن حيان في الدقي.

بعد ساعة كان محمود السبع يجلس أمام الضابط الذي بدأ هادئاً وبادر هو بالحديث محذراً من استمرار علاقته بأي عمل يشوه صورة النظام أو المرتبطين به.

حاول السبع أن يقول شيئاً، لكن الضابط واصل: لا حاجة لأي شرح، عرفنا بطريقتنا أن النسخة التي أرسلها الهباش ومسؤول مكتب القناة أضيفت إليها أجزاء أخرى هناك في العاصمة الخليجية، والموضوع متروك لجهات أخرى غير أمن الدولة، لكن الأمر لا يخلو من الحذر والتنبيه على الشاب الذي يدير الشركة من

التعقل وحساب خطواته وتبعات تصرفاته، خاصة أنه أبلغ مدير مكتب القناة أنك شريكه، رغم أنه لا مستندات تدل على ذلك.

اطمأن السبع قليلاً وحاول مرة أخرى أن يتكلم، لكن الضابط لم يمهله:

- لا داعي لأي شرح، نعلم أنك حذرتَه عندما أنتج فيديوهات لمرشحين من "الإخوان"، لكن ما حدث هذه المرة أخطر ولولا أن اتصالات بين مسؤولين كبار في البلدين كما علمنا احتوت الأزمة لكنت أنت أحد ضحاياها، فاحذر.

وقف الضابط بمجرد أن أنهى حديثه ففهم السبع أن المقابلة انتهت، فخرج مسرعاً وهو يفكر في عواقب الأمر لو تطورت في مسار آخر واستعاد إشارة الضابط إلى تحذيره الهباش بعد تعاونه مع «الإخوان».

لم يستغرب معرفة الضابط بالأمر، فهو يعلم أن أدق التفاصيل تصل إلى الأمن، وبمجرد أن ابتعد عن المبنى اتصل الهباش، وفي يقينه أن المكالمة مسموعة في جهة ما، وطالبه بالأ يذكر اسمه في أي عمل، لأنه أولاً ليس شريكاً له، فقط ساعده بمبلغ مكافأة له على تعاون سابق بينهما، وألا يتصل به مرة ثانية.

لم يصدم ذلك الطلب الهباش، فعلاقته بالسبع حققت مآربها ولم يعد بحاجة إليه فليديه من العلاقات والأموال ما يكفيهِ للانطلاق منفرداً إلى مرحلة أخرى يجب أن يعد لها جيداً.

\*\*\*

عاد وحيد إلى دائرة التيه منذ أن وضعته فرح منصور أمام نفسه بكلماتها القاسية.

بعد أن غادر المطعم، نشب أول خلاف حاد بين فرح وحسن وصلت تفاصيل منه إلى الزبائن فأثرا ترك المكان، لكن ذلك لم يكن النهاية.

في الشارع تجدد الخلاف، لم تكن فرح مستعدة للاقتناع بأنها أخطأت في حق وحيد، فيقينها أن العلاقة التي تجمع ثلاثتهم تخول لها نصحه أو هدايته إلى عيوبه، لكن حسن أخذ المسألة إلى مساحة أخرى، فوحيد صديقه وليس من حق امرأة أن تهين أحداً من أصدقائه بهذا الشكل لأنها تكون تجاوزت في حقه أولاً وقللت من قدره.

علا صوتهما في الشارع مرة أخرى وكان ذلك من وجهة نظر حسن خطأ آخر من فرح رفضه أيضاً مؤكداً أنه لا يسمح لامرأة أن تحدثه بهذا الشكل في الشارع، وأنه لولا خشيته من رد فعل الناس لصفعها.

قبل أن تعلن فرح رفضها هذا الأسلوب في التعامل، كان حسن انصرف مسرعاً حتى إنها لم تملك فرصة محاولة استيقافه.

ذهب حسن نادر إلى سكن وحيد فلم يجده، وخمنت فرح أن يكونا معاً في المجلة فتوجهت إليها لكنهما لم يكونا هناك.

اتصلت به مرات على هاتفه المحمول لم يرد فانصرفت غاضبة.  
في الصباح حضرت هي أولاً إلى المجلة وعندما وصل حسن  
حاولت مشاكسته لتنتهي الأمر بعد أن اقتنعت بوجاهة بعض ما  
قاله.

لم يستجب حسن لمحاولاتها، خطف منة السيارة فأشعل  
أخرى، تناولت قدرًا من قهوته فطلب من عامل البوفيه غيرها،  
بعثت الورق الموجود على مكتبه فلم يكثرث، مالت نحوه قليلاً  
قائلة بدلال: ما خلاص يا عم.

ولما لم يلتفت إليها دقت على المكتب بقوة قبل أن تعود إلى  
مكتبها لتحمل حقيبتها وأوراقها وتنصرف باكية.

فكر في أن يلحق بها، لكنه لم يفعل، فما فعلته في رأيه خاطئة  
يجب أن تحاسب عليها حتى لا تكررهما.

سأل عن وحيد فعلم أنه أتى مبكرًا وطلب إجازة لأسبوعين  
وغادر. طلب الهباش يسأله عن طريق الوصول إلى بيت وحيد  
في الكفر، فدله عليه، وقد زاره هناك مرات، من غير أن يسأل عن  
السبب.

تنقل حسن في المواصلات حتى وصل إلى الكفر بعد ثلاث  
ساعات، سأل عن بيت وحيد فأخذه أحدهم إليه.

خرجت أم وحيد تستفسر عن يدق الجرس فأخبرها الرجل

الذي اصطحب حسن أن ضيفاً يسأل عن وحيد فأبدت ترحاباً وحفاوة طالبة منهما الدخول، لكن الرجل انصرف بحجة أن لديه عملاً وتبعها حسن إلى الداخل.

لم تكن أم وحيد تعرف حسن، فعدد من زملاء وأصدقاء وحيد زاروه أو أتوا معه منذ أيام الدراسة وتذكر وجوههم وأسماءهم، لكن هذا الوجه جديد عليها.

جلس حسن في غرفة الضيوف وغابت عنه أم وحيد دقائق لتحضر ماء بارداً وشايًا قدمتهما مع قدر ثانٍ من الحفاوة والترحاب وبعض الاستغراب لأن وحيد جاء ليلاً من القاهرة ولم يخرج من غرفته منذ وصل ومن غير الطبيعي أن يلحق به صديق بعدها بساعات ما لم يكن هناك أمر ما.

حاولت أن تهدئ نفسي قليلاً، فرحبت بحسن مرة أخرى وسألته مباشرة: أنت مين يا ضنايا من صحاب وحيد؟

ترك حسن الشاي وتراجع عن إشعال سيجارة ليجيها:

- أنا حسن زميله في المجلة يا أمي، كنت في إجازة ورجعت لقيته بدأ إجازة قلت آجي أشوفه لأنه وحشني.

- أهلاً وسهلاً يا ابني، تشرف، دقائق أصحّي لك وحيد.

فتحت أم وحيد نافذة غرفة ابنها أولاً قبل أن تجلس بجواره وتمسح بيديها على رأسه وكتفيه محاولة إيقاظه برفق، فأبدى

قليلاً من الانتباه لكنه فتح عينيه على اتساعهما وهي تطالبه بالخروج إلى صاحبه في المجلة الجالس في غرفة الضيوف.

- صاحبي مين يا أمه؟

- يقول اسمه حسن يا ابني.

زادت دهشة وحيد غادر السرير مسرعاً إلى الغرفة فوجد حسن يبخلق في الصورة المعلقة على الجدران لوحيد وأبويه وبعض اللوحات والآيات القرآنية.

تعانقا بينما الأم تحاول التقاط كلمة أو نظرة بينهما تطمئنها إلى أن الأمور طبيعية، لكن وحيد قطع عليها الطريق وهو يسألها أن تعد لهما الإفطار، فانصرفت إلى المطبخ وهي تقول: فطار إيه يا ابني، دلوقت معاد غدا بس أنت ناموسيتك كحلي.

أشعل وحيد سيجارة وهو يرحب بحسن الذي لم يتوقع أن يلحق به إلى الكفر.

سأله حسن بغير مقدمات:

- هتفضل تهرب لإمتي يا عم الحاج؟

- أهرب من إيه؟

- من نفسك والمعارك اللي لازم تدخلها.

- مفيش داعي للمعارك، الحياة قصيرة يا عمنا وبعدين فرح ما

غلطتش. قالت الحقيقة اللي أنت قلتهاالي قبل كده قدام الهباش بس بكلمات أخف من اللي استخدمتها فرح.

ما إن انتهى من نطق اسمها حتى ظهر على شاشة هاتف حسن. صمت وحيد تاركًا له فرصة الرد عليها لكنه لم يفعل رغم أنها طلبته مرات.

أغلق حسن الهاتف ووضعها في جيبه، فنظر إليه وحيد وعبر عن خشيته من أن يكون سببًا في مشكلة بينه وبين فرح.

تنهد حسن قبل أن يطمئن وحيد إلى أن المشكلة ستنتهي، لكن بعد أن تقنن فرح أنها أخطأت ونالت من رجولته.

حاول وحيد أن يهون مما قالته فرح وأن المساحة بينهم كزملاء وأصدقاء تسمح بذلك، ولا داعي للتفكير بعقل الصعايدة في الأمر، لكن حسن رفض هذا المنطق وقال إن الموقف لا يتعلق بصعديته بدليل أنه أيد وحيد، وهو البحرأوي، لم يغضب فقط من الكلام بل هرب بعده تاركًا القاهرة كلها.

بدا على وجه وحيد بعض المرارة، لكن طلب من حسن أن يتبعه إلى غرفته ليغيّر ملابسه بأخرى من عنده حتى يكون حرًا في حركته.

تمنع حسن في البداية لكنه أمام إلحاح وحيد تبعه إلى غرفته وهو يقول إنه لا داعي لتغيير ملابسه لأنه سيعود إلى القاهرة، فنظر إليه وحيد مستغربًا.

- ليه، هو الكرم عند الصعايدة بس، ولا مش هنقدر على بياتك.
- لا ياعم مش القصد، بس أنا كان هدفي أطمئن عليك ونرجع سوا، مفيش داعي نبات، المسافة للقاهرة مش طويلة.
- سيبك من رجوعي أنا، بفكر أستريح هنا شوية.
- لا وقت للراحة يا عمنا، مش أنت مصدعني بجملة «الحياة قصيرة»، يلا بينا نلحق نعمل حاجة قبل ما تخلص.
- طيب إيه رأيك نعمل صفقة، تبات معايا النهارده ونسافر بكره.
- ماشي يا عمنا.

شعر حسن بالارتياح بعد أن دخل غرفة وحيد وبدأ في تمعن تفاصيلها: صور مع زملاء في فناء مدرسة ووسط الحقول، كتب متنوعة في الدولاب وعلى السرير وحوله، وأعداد من مجلات وقصاصات جرائد وشرائط كاسيت يختلط فيها الطربي بالشعبي وبينها حفلات قرآنية لمشايخ يعرف حسن المشاهير منهم.

مد وحيد يده إلى الدولاب وأخرج بيجامة مكوية وقدمها إلى حسن الذي تلقاها مازحًا كأنه يتسلم نيشانًا.

- عاش قطن المحلة.

انتظره وحيد أمام الغرفة دقائق وعاد إليه طالبًا من أن يتبعه

إلى غرفة الضيوف حتى تنتهي أمه من إعداد الغداء.

مرت بقية اليوم في تفاصيل الترحيب بحسن بصور عدة، فأبو وحيد احتفى به عند عودته وألح عليه أن يتناول الفاكهة الموضوعه أمامه وطلب من زوجته مرات أن تعد شيئاً وأن يكون ثقيلًا كما يحب الصعايدة وكان يغيب عن حسن ووحيد دقائق قاصدًا أن يترك لهما فرصة التدخين.

في غياب أبيه، استحلف حسن ووحيد أن يرحمه من هذا الإلحاح على تناول الفاكهة والشاي، فهو لم يعد يحتمل، فطلب منه أن يخرج في جولة بالكفر قبل أن يتجها إلى صديقه يوسف فيعرفه به.

استغرقت جولة حسن ووحيد في الكفر أكثر من ساعتين تخللها لقاءات وتحايا متبادلة مع أصدقاء وزملاء واستراحة على مقهى يقصده معظم شباب القرية قبل أن يذهبا إلى يوسف الذي فوجئ أن وحيد عاد من القاهرة.

أكرم يوسف ضيف صديقه بعشاء فيه الكثير من خيرات الريف وتبعه فاكهة وشاي ثم خرج الثلاثة في جولة ثانية، لكن أقصر من سابقتها بالكفر، توقفوا خلالها أيضًا للسلام على أصدقاء وزملاء وشربوا عصير قصب. بعدها ودع يوسف وحيد وحسن اللذين عادا إلى البيت حيث وجدا أمه في انتظارهما مصررة على أن يتناولوا العشاء، فلما أخبرها بأن يوسف دعاهما إليه قبلها

نادت زوجها ليقنع الضيف بأنه وسط أهله وأن عليه أن يتصرف على طبيعته بغير خجل.

أقسم حسن لأبي وحيد إنه لا يشعر بغربة أبداً ولا يمنعه خجل من الأكل، لكنه لا يجد مكاناً في معدته لطعام بعد عشاء يوسف والشاي والفاكهة وعصير القصب.

عاد أبو وحيد وأمه إلى غرفتهما تاركين وحيد وحسن في غرفة الضيوف ليتصرف ضيفهم كما يشاء بلا خجل.

بمجرد أن خرجا، اختار كل منهما كنية واستلقى عليها. أشعل حسن سيجارة قبل أن يضع يده على بطنه سائلاً وحيد: إيه اللي عملناه في نفسنا ده يا عمنا، مش قادر أنتنفس من اللي أكلناه وشربناه؟

- لو تحب أجيب لك شوية لبن رايب...

- لا يا عم لا رايب ولا دايب، كده حلو، بعد شوية ندخل ننام عشان نتوكل على الله بكره بدري، عندنا أشغال يا عمنا.

- براحتك، لما تحب تنام قولني ندخل جوه.

- خلينا نقرا شوية، وشغل لنا الكاسيت نسمع حاجة في الهوا الجميل اللي جاي من الشباك.

- تحب تسمع إيه؟

- حاجة فيها فرح.

- فرح منصور؟

بان على وجه حسن وجوم ممتزج بأسى وتصور حال فرح بعد أن أغلق هاتفه وغاب عن السكن والمجلة. كان حبه لها ينازع غضبه مما فعلته ورأى فيه مسًا برجولته رغم سعيها إلى مصالحته.

لأول مرة منذ عرفها، أدرك أن هذه الشابة الطموحة المنطلقة تصطدم تصرفاتها بكثير من ميراثه الصعيدي، ثم لام نفسه على تفكيره بهذا الشكل الذي قد يعني أن حبه لها مزعزع ولا يعادل حبها وإخلاصها له، لكنه حاول من جديد التعلل بأنها لم تحترمه كرجل وأن غضبه غير مفتعل.

كان وحيد بتعليقه المقصود يحاول من جديد تهدئة حسن وإعادته سريعًا إلى فلك فرح التي ربما اختارت كلمات جارحة وأسلوبًا قاسيًا، لكنها في النهاية لم تقصد إلا مصالحته.

لم يشأ وحيد أن يدافع عنها من جديد فاكتفى بإشعال سيجارة قبل أن يضع شريطًا في الكاسيت فانطلق صوت فريد الأطرش:

”بنادي عليك”

اسمع ندايا معايا

قبل ما أندهلك

وأحن إليك

وكل لحظة تفوت

من عمري تشتاقلك».

ولم ينطق الاثنان بعدها بكلمة حتى راحا في نوم عميق.

\*\*\*

تخيلت فرح حين غادرت المجلة أن حسن سيلحق بها، وقفت أمام المبنى فترة، فكرت أن تصعد ثانية لكنها عنفت نفسها على التفكير في هذا التنازل.

عبرت الشارع إلى الجهة الأخرى ومنها إلى وسط البلد، حيث ألقى نفسها وسط المارة. تصورت أنها ستجد حسن بينهم مقبلاً عليها لينطلقا إلى أحد أماكنهما الأثيرة. قنعت بأن تصادف وحيد فتعذر له ثم يعودا معاً إلى المجلة فيصلح ما جرى، ثم سخرت من نفسها وهي تتمنى الاستنجاذ بأصل المشكلة لحلها، فلعننت وحيد مرة أخرى.

كانت تنهي شارعاً في وسط البلد ثم تستريح قبل أن تدخل إلى الآخر، وبقيت على هذا النحو ساعات تمشي بغير هدى.

فكرت أن تتصل بوالدها لكنها تراجعته، قصدت كشكاً واشترت علبة سجائر ووقفت تدخن واحدة قبل أن تجد من يربت على كتفها.

التفت متوهمة أن حسن لحق بها، وعبست حين وجدت صديقتها ليلي إحدى محررات جريدة الحزب الناصري.

عانقتها ليلي بحرارة وسألته عن أخبارها فاصطنعت ابتسامة

وهي تتمم: تمام، تمام.

أحست ليلي بأن فرح ليست في حالتها المعهودة، حاولت أن تطيل الحوار معها، لكنها وجدت ردوداً مقتضبة. دعته إلى فنجان قهوة في مقهى قريب، فتذرعت بموعد يخص عملها ثم تركتها بعد قبلة فاترة على خدها.

ابتعدت فرح عن المكان، وعند أول كشك استأذنت صاحبه في إجراء مكالمة لهاتف محمول. طلبت رقمًا وانتظرت ردًا لم يأت من حسن. كررت المحاولة فوجدت الهاتف مغلقًا.

أخرجت دفتر الأرقام وطلبت رقمًا جديدًا وانتظرت قليلًا قبل أن تبدأ المكالمة بصوت مضطرب:

- ازيك يا هباش.

- أهلاً يا فرح، عاملة إيه؟

- تمام، تمام، حسن معاك؟

- لا، مش معايا، فيه حاجة؟

- خير، بس ما شفتوش في المجلة النهارده وتليفونه مقفول، قلت يكون معاك.

- ما شفتوش من فترة هو طلبني الصبح وسألني يسافر إزاي لوحيد في البلد، هو فيه حاجة؟

أدركت فرح أن حسن سافر إلى وحيد فازدحمت الأفكار  
والقرارات في رأسها قبل أن تستفيق على صوت الهباش: رحت  
فين يا فرح.

احتالت على الهباش وهي تسأله كيف وصف الطريق إلى الكفر  
لحسن معبرة عن خشيتها أن يتوه، فكرر لها الوصف وهو يقسم  
إنه صحيح ولا يحتاج إلى كثير خبرة.

حين انتهى من الوصف لم تدعه يكمل حديثه ووضعت  
السماعة ثم تركت لصاحب الكشك مقابل المكالمات واستدارت  
إلى الشارع. استوقفت أول تاكسي وقف أمامها فسألت التاكسي:  
عبود يا أسطى؟ فأشار لها بالإيجاب.

\*\*\*

في موقف عبود، رفضت ركوب سيارة كانت على وشك الاكتمال مفضلة أن تنتظر التالية لتجلس وحدها في المقعدين المجاورين للسائق كما اعتادت كلما سافرت إلى أهلها في دمياط.

حين فتح والدها الباب فزع لرؤيتها في هذا الوقت المتأخر الذي لم تعتد الحضور فيه، فضلاً عن أنها لم تتصل به تخبره بقدمها وتسأله إن كان يحتاج شيئاً من القاهرة.

قمعت فرح كل أسئلة والدها الحيرى بمسارعتها إلى الارتماء في حضنه وهي تقول باكية: الجمر يا بابا، الجمر يا بابا.

أدرك الرجل أن الأمر متعلق بحسن فاطمأن قليلاً، وهداً من روع زوجته التي خرجت من المطبخ تسأل عن جاءهما في هذا الوقت فوجدت فرح تبكي في حضنه.

طلب والدها أن تبدل ثيابها ريثما تجهز أمها لها شيئاً تأكله.

حين دخلت غرفتها، حاولت الأم أن تستوضح الأمر فتنهد الأب مكتفياً بالقول: جمر القلوب يا ست.

أدركت الأم أن فرح تعيش تفاصيل قصة حب وعلت مسحة حزن وجهها وهي تسمع كلمة جمر من زوجها الذي لم تكن خياره الأول ولا عشق عمره، لكنها منذ تزوجها لم يسيء إليها مطلقاً ولم

ينس إحسان والدها إليه.

كان رأفت منصور بدأ حياته مدرسًا للغة العربية في قريته بالبحيرة، كان الوحيد بين إخوته الذي أكمل تعليمه بينما تولوا هم مع أبيهم العناية بالأرض الزراعية.

قبل أن يتخرج في معهد المعلمين ربطه عشق جارف بابنة أحد كبار القرية، تكتما على ما بينهما منذ البداية، لكن الكتمان لم يصمد طويلًا وشاعت، وهو يبدأ حياته الوظيفية، تفاصيل عن العلاقة معظمها غير حقيقي.

حاول أن يقطع الطريق على ما يسيء إلى محبوبته، فطلب من أبيه أن يتقدم لخطبتها لكنه رفض متأكدًا من ممانعة أبيها بعد أن تناثرت حكايات عما يربطهما وللفارق الاجتماعي بينهما. حتى إخوته رفضوا الأمر للسببين نفسيهما ولغيرة منه بعد أن استأثر بالتعليم والبعد عن أثقال الفلاحة ورغبته في الارتباط قبلهم وبابنة أحد كبار القرية.

ذهب رأفت منصور إلى والد محبوبته التي غابت عن مكان لقائهما وعرف أنه حبسها في المنزل. رفض الرجل مجرد الاستماع إليه وأوشك أن يجمع بعضًا من رجاله لضربه، لكنه تراجع خشية ألا تتسع الفضيحة كما وصفها، لكنه وعده بالألا يدعه يهنأ بحياته.

منذ اليوم التالي، بدأت المشاكل تطارده، فناظر المدرسة يفتعل معه خلافات ويطارده بجزاءات، وضابط النقطة يستدعيه

بين الحين والآخر لحجج واهية، ثم اتسعت الدائرة ليجد نفسه أمام محقق في الإدارة التعليمية ثم في مديرية التربية والتعليم، وأصبح وجهًا مألوفًا في مركز الشرطة بدلًا من النقطة.

وفي غمرة ذلك كله، كان الشوق إلى رؤية محبوبته يحرقه، وأبوه وإخوته ينبذونه بعد أن أدخلهم في مشكلة لا مبرر لها من وجهة نظرهم إلا أن التعليم والقراءة أفسداه وعوداه على العيش المنعم.

وجد في قرار النقل الذي فوجئ به خلاصًا من كل ذلك، ونفذه في أسرع وقت حاملاً كتبه وملابسه إلى دمياط بعد أن أقسم ألا يعود إلى القرية.

في دمياط، لم يشغله إلا عمله. حاول أن يتعرف بحذر إلى بيئته الجديدة المحرومة مما ألفه في قريته.

أصبح وجهًا معروفًا لأبناء المنطقة التي يقع فيها سكنه وعمله، ولما لم يغادرها بعد انتهاء العام الدراسي، كما فعل زملاؤه المغتربون، لفت ذلك نظر أحد أصحاب ورش الأثاث فافتعل فرصًا للتعرف عليه.

بعد لقاءات عدة بينهما، بدأت بوادر صداقة تطورت، وأصبح صاحب الورشة يدعو إلى بيته ثم عرف تفاصيل حكايته وانتهى الأمر بأن عرض عليه الزواج من إحدى بناته التي كانت تعرف كبقية أهل المنزل حكاية رأفت كما رواها أبوها.

لم يمانع في الزواج من ابنة الرجل، فهو صاحب ورشة دخلها جيد ووفر له شقة في منزله، فضلًا عن أنها تتمتع بجمال متوسط هادئ.

وبدا رأفت بعد الزواج واحدًا من أبناء المنطقة يعمل ويعيش فيها ولا يغيب إلا لحضور ندوة أو أمسية شعرية في قصر الثقافة محاولًا استعادة بعض طقوسه في القرية التي لم تغب عن عينيه يومًا ولم ينس حبه الذي تركه حبيبًا فيها ولا يعرف مصيره.

كانت زوجته بوصية من أبيها تدرك ما يعتمل في نفسه، لكنها ورغم غيرتها لم تضايقه يومًا وأكبرت فيه حسن العشرة، لم تترك سبيلًا ظنت أنه سيسعده إلا وأخذته إليه، وكان يشكر لها محاولاتها بمزيد من احترامها ومعاملتها برفق.

حين أنجبت له ابنته رأى فيها ميلادًا جديدًا له قرر أن يبدأ بفرح، وهكذا كان اسمها.

اكتفى الرجل بفرح، رغم إلحاح زوجته والدها عليه لإنجاب المزيد من الأبناء، وجذبها إلى عالم اللغة العربية والشعر ودفعها إلى الاشتراك في مسابقات الإلقاء والخطابة، وحين نجحت في الثانوية العامة اختارت الدراسة في كلية الإعلام ثم العمل بالصحافة فلم يمانع رغم خشية أمها وأخوالها عليها من أجواء القاهرة.

لم يخش هو عليها شيئًا إلا وجع القلب أو الجمر الذي عاش

قابضاً عليه بروحه، وها هي تعود إليه الآن بشيء منه.

أخذت فرح حماءاً لتتخلص من بعض آثار يومها المتعب لكنها خرجت إلى الصلاة بوجه منهك، رفضت ضغط أمها لتأكل شيئاً، فطلب منها أبوها أن تتبعه إلى غرفتها.

حكّت له كل ما جرى، دون أن يتدخل بكلمة حتى حين كانت تقطع بالدموع استرسالها في سرد التفاصيل. تركها تلقي كل ما لديها بين يديه، ثم فاجأها حين انتهت برده: أنت غلطانة.

نظرت إليه متعجبة فابتسم بحنو قبل أن يواصل: مفيش راجل بيحب الندية، يكون صعيدي ولا بحرأوي مش مهم، الحب ممكن ببسطه ويخليه يتقدم في حياته بس عمره ما ينسيه رجولته ومش ممكن يتنازل عنها قدام اللي بيحبها مهما كان جمالها أو تعليمها أو فهمهما للأمور.

- بس يا بابا أنت عمرك ما زعلت من حاجة أنا قلتها لك أو رأي في شيء أنت بتعمله.

- صحيح، لأنني أبوك مش حبيبي ولا جوزك، أنا متشبع بإحساس الرجولة معاك والفضل عليك لأنني أنا اللي جبتك للعالم ومنحك اسمي وعمرى عشان تبقي أحسن مني، إنما هو لازم في كل مناسبة تظهرى له إحساسك برجولته، ومفيش مانع تحسسيه أنه أحسن منك أو أعلى بدرجة، طبعاً من غير ما ده يمس كرامتك ولا إنسانيتك. يا بنتي الرجالة دول عيال وغلابة لازم تسايسيهم.

نظرت إليه مستغربة فعاد إلى تأكيد ما يقوله:

- هي دي الحقيقة، وعشان كده كمان ما تندفعيش في عواطفك  
معاهم مرة واحدة. اديله جرعات محسوبة كأنك بتربي طفل  
عشان ما يصابش بتخمة فنفسه تتسد وتكون النهاية جمر.

قام الأب من مكانه ووضع يده على كتف فرح وهو يهون لها  
الأمر بعد أن أدرك أنه صعبه عليها:

- لسه المشوار طويل يا بنتي، مش ها نقع مع كل مشكلة.

أمسكت بيد أبيها وقبّلتها وهي تشعر أنه أزاح عنها عبئاً فبدأت  
أساريرها تنفرج.

دعاها إلى تناول العشاء فأقسمت إنها لا تستطيع وفاجأته بأن  
عليها أن تنام لأنها ستسافر مبكراً.

سألها أن تبقى أياماً لتستريح فقالت إن الشحنة الإيجابية التي  
منحها إياها تكفي. خرجت معه للسلام على أمها التي تعجبت من  
قرار سفرها مبكراً فقالت إنها كانت في حاجة إلى فرصة للهروب  
من ضغط العمل ورؤيتهما والاطمئنان عليهما.

استدارت فرح عائدة إلى الغرفة فنظرت أمها إلى أبيها لعله  
يقنعها بالبقاء فكان رده: خليها تمشي.. هي كويسة.

\*\*\*

حين تسلل نور الصباح إلى غرفة الضيوف التي قضيا ليلتهما فيها، فتح حسن عينيه وهو يتبين أين هو، وجد وحيد غارقاً في النوم فاستعاد ما سبق نومهما.

كان في حاجة إلى كوب قهوة ولم يشأ أن يقلق وحيد ولا أهله. اكتفى بإشعال سيجارة ومدّ عينيه في شبك الغرفة يطالع جيراناً فوق المنازل المجاورة يطعمون الطيور أو يلقون حطباً استعداداً لإشعال الأفران، ورأى في الشارع رجالاً عدة يخرجون حيواناتهم من الحظائر قبل الذهاب بها إلى الحقول.

شمت أم وحيد رائحة دخان سيجارة حسن فطرقت باب الغرفة سائلة: صحيتوا يا ولاد؟

تخرج حسن وبعد تردد أجابها:

- أنا اللي صحيت يا خالتي.

- صباح الخير يا ابني، طيب صحي وحيد بقى، الشمس ملت الدنيا.

استمرأ حسن تعبير «الشمس ملت الدنيا»، فمد يديه برفق إلى رأس وحيد يهزها محاولاً إيقاظه.

فتح وحيد عينيه فوجد حسن يضحك:

- بتضحك على إيه، وإيه اللي نيمنا هنا؟

- أمك خبطتني حثة شاعرية ع الصبح.

- إيه؟

- بتقولي صحي وحيد الشمس ملت الدنيا.

- ده أقل حاجة عندها، لو قعدت معاها كام يوم هتملا ديوان.

نهض وحيد وخرج من الغرفة يؤمّن لحسن الطريق إلى الحمام  
ثم ناداه ووقف ينتظره بالفوطة.

دخلت أم وحيد بعدها إلى المطبخ وهي تلوم ابنها الذي ترك  
صديقه يبيت في غرفة الضيوف، وأخبرته أن أباه حين خرج  
لصلاة الفجر دخل الغرفة ففوجئ بهما مستغرقين في النوم،  
فنبهها إلى عدم الدخول إليهما وتركهما حتى يستيقظا، لكنها  
حين شمّت رائحة السجائر طرقت الباب.

ربت على كتفها مؤكداً أن الأمر عادي فلم تقتنع، لكنها أخبرته  
أنها ستجهز الإفطار، فسألها أن تنتظر لأنهما لن يأكلا في هذا  
الوقت المبكر.

سألته مستنكرة: هتشرّبوا سجاير بس؟

- وقهوة كمان بعد إذنك.

- حرام عليكم نفسكم يا ابني، طيب هعملكم شاي بلبن قبل  
القهوة وبعدين لما تحبوا تظفروا قولوا.

تنحى حسن خارجاً من الحمام إلى الحوض المجاور لبابه  
فاغتسل والتقط الفوطة من وحيد وعاد إلى الغرفة.

انتهيا من الشاي والقهوة، قضيا وقتاً يطالغان أعداداً من مجلات  
وجرائد مكومة في أحد الأركان، دخنا حتى غرقت الغرفة في  
دخان كثيف يتجاوز النافذة فتضايق أبو وحيد العائد من الحقل.

تعمد أن يتحدث إلى أحد الجيران بصوت مرتفع يسمعه حسن  
ووحيد. توقفوا عن التدخين وقام وحيد يطرد آثاره بالفوطة. بعد  
دقائق دخل أبوه محيياً.

- فطرتوا يا ابني؟

- لسه يا حاج.

- ليه كده، أمك ما جهزتش فطار. أومال كانت مولعة الفرن من  
بدري ليه؟ ولا بتوفروا للغدا؟

تدخل حسن ليؤكد أن حياة المدينة أفسدتهم فلم يعودا يلتزمان  
بما اعتادا عليه من نظام للأكل في القرى، فالإفطار يتداخل مع  
الغداء وأحياناً يكتفيان بوجبة وحيدة ثقيلة في منتصف اليوم.

- لآ يا ابني، كده غلط، أنتوا كده بتحرقوا شبابكم، لسه قدامكم  
عمر طويل ومحتاجين صحكتكم.

عرف وحيد أن والده بقوله «بتحرقوا شبابكم» يلمح إلى  
موضوع التدخين، فأطرق برأسه قبل أن ينظر إلى حسن سائلاً

إن كان مستعداً لتناول الإفطار الآن.

- ماشي نفطر، شكل الحاج جعان.

- جعان مين يا ابني، أنا بصلي الفجر وأفطر، كلوا أنتوا وشوفوا  
هتعملوا إيه على ما الغدا يجهز.

- لا الله يكرمك يا حاج، أنا ووحيد هنفطر ونتوكل على الله  
ورانا شغل، خلي الغدا لمرّة ثانية.

- مرّة ثانية مين يا ابني، أنتوا الدنيا واخداكم، ما صدقنا تقعدوا  
في وسطنا شوية، إحنا اتباركنا بيك والله.

قبل أن يرد حسن تحية الرجل كان هناك من ينادي على وحيد  
في الخارج.

خرج أبوه ليرى من الزائر فاتسعت عيناه من الدهشة وهو يرى  
فتاة بصحبة أحد الجيران الذي سلم على الرجل وهو يقدمها له.

- الأبلّة بتسأل على الأستاذ وحيد.

تذكر الرجل الوجه الذي رآه في المجلة فسلم عليها ودعاها إلى  
الدخول وعند باب الغرفة ألقى بدهشته في وجه حسن ووحيد  
الذي انتفض للترحيب بها.

- أهلاً يا فرح.

\*\*\*

تعلم أحمد الهباش من درس تعاونه مع القناة الخليجية الكثير، ورغم أنه ابتعد عن السبع استعاد وهو يفكر في المرحلة الجديدة نصيحته له في البداية بأن يفكر في كل خطوة وأن يعلم أن كل شيء في البلد يتقاطع مع دائرة الأمن وأن خطأ آخر قد يضعه في خانة لا يستطيع مغادرتها إلى أي طموح آخر.

قال لنفسه إن السبع، رغم كل ما يقال عن رجال الأعمال عادة، كان طيباً معه، لكنه لم يرد له الجميل بالشكل اللائق.

تعجب الهباش لأنه ضبط نفسه مرة متلبسة بالتعاطف مع أحد أو تذكر فضله وعاد ليؤكد لها أن الدنيا تسخر البعض لخدمة البعض وأن الأقدار وضعت السبع في طريقه ليعينه على تحقيق بعض أهدافه ثم سيجد بعده من يساعده على استكمالها.

من يكمل معي ما بدأه السبع؟ سأل الهباش نفسه.

رأى أن أهدافه المرحلة المقبلة أكبر مما تحقق لذلك فإن من يعاونه يجب أن يكون على قدرها، لكنه يجب أن يزيل من ملفه خطأيه: التعاون العابر مع "الإخوان"، وإنتاج الفيلم الذي شوهته القناة الخليجية فأتى بنتيجة عكسية.

دارت في رأسه الأفكار وتعددت السبل التي سيختار من بينها ما يسلكه إلى بقية طموحاته، ثم لمعت عيناه وهو يقول «داوني بالتي كانت هي الداء»، ما دام الأمن هو المشكلة، فليكن الحل.

في اليوم التالي، بمجرد أن وصل الشركة طلب من السكرتيرة دعوة فريق العمل إلى اجتماع عاجل في مكتبه.

كان موظفو الشركة يخشون من تأثيرات موضوع الفيلم على وجودها وبالتالي وظائفهم، فدخلوا الاجتماع متوجسين.

بعد أن حياهم، فاجأهم بطلب أفكار تصلح لفيلم قصير عن جهود وزارة الداخلية وتضحياتها. وجم بعضهم، وأدرك البعض أنه يحاول القفز على ما جرى بسبب الفيلم، فيما مال أحد الزملاء على آخر ليهمس في أذنه: شفت ابن اللعيبه؟

لم تعنه ردود الفعل ومضى يخاطبهم بحزم: بكره في نفس الميعاد نجتمع وناقش الأفكار وطرق التنفيذ، اتفضلوا.

كان الهباش على يقين من أن أفكارًا كثيرة ستأتيه غدًا، لكنه كان يبحث عن يبني له جسرًا إلى وزارة الداخلية ليقدم لها الفيلم.

فكر في السبع، لكنه استبعده بسرعة، طلب من السكرتيرة ملف كل أعمال الدعاية التي نفذها لمرشحين وقائمة بأعضاء مجلس الشعب.

قلّب في أوراق وقصاصات صحف حتى قادتته عيناه إلى صورة  
للدكتور جمال أبو المجد ضمن خبر عن نواب الحزب الوطني  
الناجحين في الانتخابات في دوائر الغربية.

تذكر أن دائرة الدكتور جمال أبو المجد ينتمي إليها وحيد  
عبد السلام فقرر الاستعانة به في الوصول إلى النائب، خاصة  
أنه اختير وكيل لجنة الدفاع والأمن القومي في مجلس الشعب.

قرر أن يتصل بحسن نادر على هاتفه المحمول سائلاً عن وحيد،  
لكنه تراجع وقرر الاتصال بالمجلة مباشرة. لم يرد أحد، فالوقت  
لا يزال مبكراً والعمل في المجلة ينشط ليلاً في الغالب.

اكتفى الهباش بالاهتداء إلى فكرة الاستعانة بوحيد ومضى  
ينجز بعض الأعمال الأخرى حتى حان موعد غدائه فغادر الشركة  
إلى مطعم قريب.

\*\*\*

رحب وحيد بفرح ودعاها إلى الجلوس بينما كان يهرب من عيني أبيه. وألجمت المفاجأة حسن فاكتفى بمشاهدة ما يجري كأنه في حلم. اتهمها بالجنون مرات، لكنه لم يتوقع أن تبلغ منه هذا القدر.

فكّر في شكله أمام والد وحيد، بل أشفق على وحيد ذاته وهو يدفع مرة ثانية ثمن تهورها.

لم تكن فرح معنية بذلك كله، حمدت الله على أن حسن بخير، بل ضحكت وهي تراه لأول مرة في البيجاما. تمنّت لو أن مصورًا من المجلة الآن يوثق هذا المشهد الذي لم يتوقعه أي من أبطاله.

أدرك والد وحيد أن عينيها لا تبحث إلا عن حسن، عرف أنه الحب، لكنه بعقل فلاح، لم يعتبر ذلك عذرًا لفتاة تأتي إلى قرية زميل لها بحثًا عن حبيبها عنده، وفكر في سمعته بين الجيران، خاصة أن عيونهم لاحقت فرح منذ أن دخلت الشارع.

فكر في منى وأبويها، رغم أن مشروع الارتباط بوحيد انتهى، وهو مضطر الآن إلى تبرير زيارة فتاة غريبة منزلهم.

كان حسن تخلى عن بعض من زهوله ومد يده ليحتضن يدها،

بينما يوشك وحيد أن يقطعهما للتخلص من حرجه أمام أبيه الذي نادى على زوجته لتسلم على الضيفة.

كان رد فعل أم وحيد أصعب، لكن زوجها كان استوعب الموقف ولم يشأ أن تطول قائمة الأسئلة في تعابير وجهها، فسألها أن تأخذ فرح معها وأن تعطيها واحدة من جلابياتها فاكتفت أم وحيد بالسير أمامها إلى غرفتها.

- اتفضلي يا بنتي.

لم يجلس أبو وحيد، بقي في المسافة بين الغرفتين: غرفة الضيف، حيث وحيد وحسن، وغرفته التي تبدل فيها «البلوة» -كما وصفها لنفسه- ثيابها.

دقائق وخرجت أم وحيد من الغرفة تتبعها فرح، فدخل هو إلى غرفة الضيوف. حين تبعته فرح لمعت عينا حسن وهو يراها تكاد تتعثر في جلاب يشبه بألوانه الزاهية قاعدة تمثال لوجه منحوت من بهاء.

كانت كل العيون ترقبها كأنها أصبحت مركز الكون، نسي أبو وحيد موقفه منها بعد أن زرعت في قلبه بهجة جربها مرارًا حين تفيض أرضه بالخيرات أو وهو يرى وحيد يكبر أمامه ويشعره بالأمان.

كاد حسن أن ينهض ليحملها فلا تمس قدمها الأرض، لكنه انتبه لوجود أبو وحيد وأمه التي كانت ترقب الضيفة بفخر من

منحها بجلابها القطني كل هذا الجمال الصباحي.

لم يطل وحيد النظر إليها، لكنه قال لنفسه: فرح.. بجد.

شعرت فرح بالخجل فاحمرت وجنتاها وأطرقت برأسها فخلصها أبو وحيد من شعورها بأن دعاها إلى الجلوس وسأل زوجته أن تجهز الإفطار.

عرضت فرح مساعدة أم وحيد لكن السيدة طالبتها بأن تبقى في مكانها، لأن الأمر لا يستدعي.

سأل وحيد فرح كيف عرفت الطريق إلى الكفر فأخبرته باستدراجها الهباش في الهاتف، فنظر حسن إليها وهو يجد سعيداً دليلاً آخر على جنونها.

أزال أبو وحيد بعض الكتب والصحف الموضوعة على المائدة ليخلي مكاناً لصينية الفطير وأطباق القشطة والعسل والجبن القديم والجرجير التي بدأت تتوالى، رافضاً أن يعاونه أحد في ذلك.

أكل الجميع بشهية مفتوحة وشربوا الشاي، تبادل حسن ووحيد النظرات المفهومة، فكلاهما بعد هذه الوجبة الدسمة في حاجة إلى سيجارة ليست متاحة في وجود أبيه.

خرج وحيد من الغرفة ونادى حسن ليتبعه إلى الشارع، جلسا أمام المنزل يدخان، بينما بقيت فرح بين والديه يرحبان بها

ويسألانها عن أهلها وإلى أي محافظة تنتمي، بل دعيها إلى أن تأتي مع والديها إلى زيارتهم مرة، فوعدت أن تفعل.

أدرك أبو وحيد أن عينيها تبحث عن حسن، فنادى وحيد بصوت عال وهو يعرف أنهما يدخان.

- إنتوا فين يا ابني، مش كفاية شم هوا..

ضحك الرجل وهو ينظر إلى فرح مفسراً لها ما يقول:

- طبعاً هما بيشموا هوا كله دخان.

تدخلت أم وحيد قائلة لزوجها: ادعيلهم ربنا يتوب عليهم من السجائر.. يكسبوا صحتهم وفلوسهم.

دخل وحيد يتبعه حسن الذي قال إنهم سيستعدون للسفر، فلديهم عمل متراكم لولاه ما تركوا هذه الأجواء الجميلة.

دعته أم وحيد إلى البقاء حتى آخر النهار ليتناولوا الغداء فأقسم إنه لن يأكل بقية اليوم أي شيء، فالإفطار أنساه كل الطعام.

- بالهنا والشفيا يا حبايبي، بس العروسة لسه ما قعدتش معانا ومشبعناش منها.

- أهو عشان العروسة يا خالتي لازم نمشي، هتتأخر إزاي بره؟

نظر في عيني فرح فوجد فيهما نفس ما يتمنى: أن يمسك يديها وأن ينطلقا في الشوارع بلا هدف.

دخل حسن ووحيد إلى غرفته ليبدلا ملابسهما، ولما عادا تبعت فرح أم وحيد إلى غرفتها فغيرت ملابسها وجاءت إلى الغرفة تعلن أنها جاهزة.

قبلتها أم وحيد ثم احتضنتها طويلاً مكررة دعوتها إلى أن تأتي ثانية وأن تصحب والديها، ثم قبلت ابنها ودعت له وسلمت على حسن ثم تبعتهم بدعواتهم وهم يتحركون خارجين من المنزل. صحبهم أبو وحيد إلى الطريق الرئيس بعد أن أصر على أن يكون في وداعهم.

وبينما ينتظرون سيارة ميكروباص تقلهم إلى المحلة، توقفت سيارة ملاكي نزل منها الأستاذ مجدي عضو مجلس الشعب عن «الإخوان».

سلم النائب على أبو وحيد، وضم وحيد إلى صدره وهو يسأله: أنت فين يا أستاذ؟

نظر مجدي إلى حسن وفرح فقدمهما إليه وحيد، فسلم على حسن وأعاد يده إلى صدره مُرحباً بفرح.

- أهلاً وسهلاً، الصحافة كلها عندنا. اتفضلوا بقى نعمل معاكم واجب ونتغدا سوا.

اكتفى حسن وفرح بشكره، بينما قدمه وحيد إليهما كأخ محترم ونائب في مجلس الشعب، فبدا على وجه مجدي الامتنان وربت

على كتف وحيد وأعاد سؤاله: أنت فين يا أستاذ؟

تعلم وحيد بانشغالاته التي تقلل زيارته للكفر فعرض عليه مجدي أن يلتقيه في القاهرة حين يسمح وقته، فهو يقضي هناك ثلاثة أيام أسبوعياً لحضور الجلسات، فوعده أن يفعل.

أخرج مجدي كروتاً من جيبه ومنح ثلاثة منها لوحيد وحسن وفرح مؤكداً أن فيها رقم هاتفه المحمول إن أراد في أي وقت، ثم سلم عليهم قبل أن يستقل سيارته.

بعدها سلم الثلاثة على والد وحيد بعد أن توقفت لهم سيارة ميكروباص. بمجرد أن استقلوا السيارة أمسك حسن بيد فرح فوضعت رأسها على كتفه.

انتبه وحيد فاقترب منهما يمازحهما وهو ينظر إلى ركاب السيارة.

- لو الفلاحين ضربوكم هنا لغاية ما يبان لكم صحاب أنا معرفكوش.

أبعدت فرح رأسها وستحب حسن يده، وضحك الثلاثة، بينما يحيطهم الركاب ببسمات هادئة.

\*\*\*

كما توقع أبو وحيد، لم تمر زيارة فرح لمنزلهم بسهولة. كان سعيداً في هذا اليوم، حاول أن يبرر سعادته فتداخلت الأسباب في رأسه لكنها دارت كلها حول وحيد، وإن توقف عند وجه فرح كثيراً.

تذكر ابتهاج زوجته بوجودها رغم أنها استقبلتها في بادئ الأمر بغير رضا، تمنى في هذه اللحظة لو كان أنجب بنتاً، بل وصلت أمنياته إلى حد اقتران وحيد بفرح أو فتاة أخرى تبعث مثلها في حياته الجمال والسعادة.

عاد وأشفق على منى التي تركها وحيد، وتذكر الحب الذي يجمع حسن وفرح وهما صديقا ابنه المقربان.

بعد أن صلى أبو وحيد العصر أخذته قدماه إلى المقهى التي لم يقصدها منذ زمن طويل وإن فكر مرة في ارتيادها لا يطيل الجلوس فيها.

جلس خارج المقهى وفاجأ عاملها بطلب «حجر جوزة»، وحينما بدأ يسحب دخانه وينفته يتمهل لفت أنظار الموجودين.

بعد قليل حياه صديقه فتحي وهو يمر من أمام المقهى فدعاه

إلى الجلوس معه.

لم يفسد موضوع منى العلاقة بينهما، لكنها تركت في نفس فتحي شيئاً وكان أبو وحيد يقدر ذلك ويتمنى أن يداوي الزمن الأمر.

طلب أبو وحيد شيئاً لصديقه الذي استغرب وجود «الجوزة» بين قدميه لكنه لمح في عينيه فرحة فلاح أرهقه موسم الزراعة لكن الأرض كافاتاه بخير وفير.

- سمعت أن الأستاذ وحيد هنا، هو عامل إليه؟

كان أبو وحيد يدرك أن ذلك ليس السؤال الحقيقي الذي يود فتحي طرحه فأراد أن يختصر الطريق وألا يفسد لحظات انشراحه.

- الحمد لله كويس، مشي هو وزماليه، بيعملوا موضوع للمجلة جنبنا في كفر الشيخ وجه هو وزميله الأول باتوا ليلة إمبراح وبعدين زميلته فرح لحقتهم، لأنه ما ينفعش تبات بره بيتهم. واتوكلوا على الله الظهر على كفر الشيخ وهيسافروا من هناك على مصر.

اقتنع فتحي بالإجابة الوافية التي لم يطلبها صراحة، لكن صديقه كان يعرف أن زيارة فتاة لمنزلهم شاعت بين الجيران وبعضهم وصفها بخطيبة وحيد، فكان عليه أن يطمئنه أولاً ويجعله هو يجيب عن كل فضولي يسأل عن الأمر.

مد فتحي يده إلى «الجوزة» وأدار عنقها الطويل المصنوع من «البوص» إلى فمه وسحب نفساً عميقاً جعله يسعل بشدة وأضحك الموجودين الذين بدؤوا ينظرون إلى الصديقين في هذا المشهد النادر كشابين هاربين من مدرستهما لي تجربا التدخين لأول مرة.

هدأت نفس فتحي قليلاً ورأى أن رهانه على أن تعود الأمور بين منى ووحيد إلى مجاريها وتنتهي النهاية التي يتمناها قد يفلح.

كانت منى على علم بزيارة فرح، فأخواتها الصغيرات حكين لها ببراءة عن الأبله الجميلة التي زارت بيت عم عبد السلام، فصرخت فيهن. وأكثر من جارة تطوعت بنقل الخبر إليها، ومنهن من طعننها بالسؤال: شفت عروسة ووحيد؟ ومنهن من أوغل في إنكاء نيرانها وهو يصف جمال فرح وأناقته، وهناك من زعم أنها كانت بصحبة أخيها، والمقصود حسن، في زيارة تعارف لأسرة ووحيد.

حينما عاد أبوها من المقهى كان يعرف أنها تحترق بالتفاصيل التي نقلتها الجارات إليها، كان يريد لها أن تهدأ مثله، لكنه استصعب على نفسيهما أن يحدثها في الموضوع مباشرة.

جلس على الكنبه في الصالة وطلب شيئاً من زوجته التي سألته أين كان.

كانت منى تعرف أن أمها، وهي منشغلة أيضاً بموضوع زيارة فتاة لمنزل ووحيد، ستفتح الموضوع مع أبيه، بل إنه أعطى إشارة لذلك حين أخبرها أنه كان في المقهى مع عبد السلام.

أمرت منى أخواتها الصغيرات بالصمت وتركت باب غرفتها مواربًا، ولاحظ أبوها ذلك لكنه لم يشعرها، بل تعمد أن يرفع صوته وهو ينقل لزوجته ما حكاه عبد السلام عن وجود وحيد مع زميليه فرح وحسن في الكفر.

لم تهدأ منى كوالديها، فأزمتها مع وحيد، أو بسببه بالأحرى، لا تنتهي بالاطمئنان إلى أن الفتاة التي زارتهم اليوم مجرد زميلة، فالزميلة ستتبعها يومًا ما حبيبة وزوجة.

كانت تعرف أن عودته إليها التي يتوهمها أبوها وأمها تحتاج إلى معجزة.

كانت تعرف الاسمين اللذين ذكرهما أبوها، فهي تحتفظ بكل أعداد المجلة منذ بدأ وحيد عمله فيها وتعرف أسماء زملائه التي ترافق الموضوعات ومنهم حسن وفرح وقرأت موضوعاتهما المشتركة ورأت صورتها منشورة مع رحلات لها داخل مصر وخارجها.

أعدت التقليب في أعداد المجلة، وقفت عند اسم وحيد في كل عدد وبللت السطور بدموعها.

صادفت صورة فرح فدققت النظر في تفاصيل وجهها التي تفيض بالحيوية، وتنهدت طويلاً.

\*\*\*

كان اليوم غير عادي في مجلس الشعب، بدا ذلك من غياب الحركة عن الشوارع المؤدية إليه والانتشار الكثيف لرجال الأمن.

في داخل المجلس، كان رئيسه يستقبل وزير الداخلية وكبار مساعديه في مكتبه قبل جلسة مخصصة لمناقشة سياسات الوزارة والرد على ما يردده نواب «الإخوان» حول اعتقالات في صفوف الجماعة.

تفرق عدد من النواب في الردهات حاملين أوراقًا للظفر بتأشيرات الوزير عليها قبل أن يدخل القاعة، لكن حراسه أخبروهم أنه لن يوقع طلبًا إلا في القاعة وبعد أن تنتهي الجلسة.

خرج الوزير ورئيس المجلس من مكتبه باسمين بينما الحراس يطالبون النواب بالدخول.

ترك رئيس المجلس الوزير ومساعديه عند باب يقود إلى المنصة، بينما دخلوا هم من الباب الرئيس.

جلس الوزير مجاورًا لزملائه الوزراء وخلفه مساعده، بينما يجتمع نواب الجماعة في مكان اختاروه لأنفسهم وقد علقوا على صدورهم شرائط سودًا مكتوبًا عليها «لا للاعتقالات».

تصدى رئيس المجلس بمطرقته لمحاولات مبكرة من نواب «الإخوان» لإشاعة الفوضى في الجلسة، بينما الوزير يبتسم كأنه يهون من الفقرات المتنوعة التي يتوقعها.

بدأت الجلسة بكلمة مقتضبة من رئيس المجلس أنهاها بتحذير من مغبة التشويش على أعمالها أو عدم الالتزام بالنظام.

تحدث زعيم الأغلبية أولاً عن جهود وزارة الداخلية في بسط الأمن في ربوع البلاد بتوجيهات القيادة الرشيدة. وشكر للوزير حرصه على الحضور إلى المجلس احتراماً لدوره وأعضائه وتصدياً لكل من يحاول النيل من دور الأجهزة الأمنية أو يلصق بها التهم.

علت همهمات بين نواب الجماعة، فركز زعيم الأغلبية نظره عليهم فبدأت تنحسر تدريجياً حتى تلاشت مع تجديد رئيس المجلس تحذيره.

أعطى رئيس المجلس الكلمة للدكتور جمال أبو المجد وكيل لجنة الدفاع والأمن القومي الذي نقل اعتذار رئيسها عن عدم الحضور لارتباطه بسفر طارئ، وحيى الوزير ومساعديه وكل المنتسبين إلى وزارة الداخلية التي تؤمن الجبهة الداخلية للبلاد وتحمي إنجازاتها المتنامية في مختلف المجالات وتتصدى لعبث العابثين.

توالت كلمات نواب الحزب الوطني فاستغرقت الجزء الأكبر من

الجلسة وتبعهم أعضاء من الأحزاب الأخرى وسط تجاهل رئيس المجلس لأيادي نواب الجماعة الطالبة للكلمة.

وبينما يتحدث نائب من «الوفد» قاطعه الدكتور هشام حشمت نائب الجماعة والشائع أنه زعيم كتلتها البرلمانية رغم أنها كيان غير شرعي مخاطباً رئيس المجلس.

- يا ريس، كده كثير يا ريس، من حقنا نتكلم برضه.

- لن تنتزع الكلمة بهذا الأسلوب يا دكتور، أرجو أن تلتزم وزملاؤك بالنظام، وأولى علامات ذلك ألا تقاطع المتحدث وأن تزيلوا هذه الشرائط المحيطة بأعناقكم.

- نحن ملتزمون بالنظام يا سعادة الرئيس، وهذه الشرائط وسيلة تعبير عن الرأي وتضامن مع إخواننا الذين طالتهم قبضة الأمن بغير ذنب إلا أنهم يقولون ربنا الله.

- الشرائط ليست من وسائل التعبير تحت قبة المجلس، فلذلك أدوات منصوص عليها في لائحته وأمامكم الفرصة كغيركم لاستخدامها. وما لم تزيلوها فلا مجال للحديث، لسنا في مظاهرة.

- أي حديث يا ريس ونحن نستجدي الكلمة.

- سيأتيكم الدور شرط الامتثال للائحة وإزالة الشرائط.

بمجرد أن أزال نواب الجماعة الشرائط جمعها أحد موظفي المجلس بينما همس رئيسه في أذن موظف آخر قريب منه بأن

يدخل كاميرات التلفزيون.

حين ظهرت الكاميرات، انتبه نواب الجماعة إلى أن رئيس المجلس خدعهم حين طالبهم بإزالة الشرائط حتى لا تظهر في الجزء المسجل من الجلسة الذي يذاع مساءً.

بعدها منح رئيس المجلس الدكتور هشام الكلمة فبدأها بالتأكيد على أن الأمن من النعم الربانية التي لا يستقر مجتمع في غيابها، لكنها لا بد أن تقترن بالعدل وبث الطمأنينة في النفوس لا ترويعها كما فعل رجال الداخلية وهم يهاجمون بيوتاً مسالمة.

عطل رئيس المجلس استرسال الدكتور هشام بعبارته الشهيرة «وبناء عليه» وأخذ يكررها مرات وسط إصراره على المواصلة.

لم يشأ الدكتور هشام الصمت فوقف زعيم الأغلبية فجأة موجهاً كلامه لرئيس المجلس.

- أرجو من سيادتك الحفاظ على هيبة هذا المكان ونظامه، لسنا رهائن عند الأخ العضو ليجبرنا على الاستماع إليه بينما تطالبه بالصمت.

ارتفع صوت الدكتور هشام وهو ينظر إلى زعيم الأغلبية موجهاً كلامه إلى رئيس المجلس.

- أطلب من سيادتك الحماية، على الأقل حماية حقنا الأصيل في التعبير وممارسة دورنا البرلماني. لا يمكن أن يمتد القهر الذي

نعيشه في الخارج إلى هنا. نحن نواب الشعب وجزء منه تعرض لتعسف أمني ولا بد أن ننقل صوته إلى المسؤولين.

طلب رئيس المجلس حذف كلمة القهر من مضبطة الجلسة وطالب الدكتور هشام بالاعتذار عنها لأنها لا تليق بعصر الحريات التي يراها بنفسه السيد الرئيس ولولاها ما وصل أعضاء من الجماعة إلى البرلمان.

حاول الدكتور هشام أن يتكلم ثانية، لكن رئيس المجلس دعا وزير الداخلية إلى الحديث لعرض استراتيجية عمل الوزارة والتحديات التي يخوضها رجال الأمن للحفاظ عليه راسحاً في ربوع مصر.

حاول نواب الجماعة مساندة زميلهم، لكن تصفيق الأغلبية طغى على المشهد ورافق الوزير إلى منصة الحديث.

\*\*\*

بقي أحمد الهباش في الشركة بعد انصراف الموظفين ينجز بعض الأعمال، وحين رفع عينيه عن الأوراق كانت شاشة القناة الأولى تعرض مقتطفات من جلسة مجلس الشعب التي استضافت وزير الداخلية.

ألقى الهباش بالقلم ورفع الصوت ليتابع وحين ظهر الدكتور جمال أبو المجد على الشاشة تذكر موضوع الفيلم واهتداه إلى فكرة الاستعانة بوحي، فاتصل بالمجلة.

رد وحييد على الاتصال الذي حوله عامل «السويتش» ثم هتف:  
يا هباش، فينك يا راجل؟

تبادلا التحايا والسؤال عن الأخبار وحسن وفرح اللذين لم يكونا موجودين واتفقا على لقاء في «كافيه» بشارع جامعة الدول العربية باقتراح من الهباش.

- الله يرحم أيام قهاوي بين السرايات.. كافيه؟ ماشي يا هباش، الساعة 9 نتقابل هناك.

أتمّ وحييد موضوعاً للمجلة وسلمه إلى سكرتيرة رئيس التحرير ثم جمع حاجياته في حقيبته وغادر للقاء الهباش الذي وصل

متأخرًا ونازع سائق التاكسي الذي توقف به أمام المقهى على الأجرة كعادته.

استقبله وحيد فاردًا ذراعيه وهو يضحك:

- لسه ماسك في موضوع الخمسة جنيه وبتناكف في سواقين التاكسي؟

جلسا في ركن من المقهى كان وحيد حجزه، جاءهما النادل يسأل الهباش عما يود تناوله فطلب قهوة واستدار إلى وحيد يسأله عن أخباره وحسن وتذكر أنه طلب منه قبل فترة معرفة عنوانه وبعده بساعات كررت فرح الطلب.

برر وحيد الأمر بأنه كان مريضًا في الكفر وزاره حسن دون أن يخبر فرح ولما فرغ هاتفه من الشحن لم تستطع التواصل معه وعلمت في المجلة بمرضه فتوقعت أنه ذهب إليه فسألت عن العنوان.

لم يبذُ الهباش مقتنعًا برواية وحيد، لكنه لم يقف عندها كثيرًا وأبدى إعجابه بالعلاقة التي تربط حسن وفرح متمنيًا أن تنتهي بشكل يسعدهما.

وضع النادل القهوة أمام الهباش فأخرج سيجارتين من علبته أشعل واحدة وأعطى وحيد الثانية ودخل في الموضوع مباشرة.

- بص يا عمنا، من غير تفاصيل، أنا حصل مشكلة بسبب

موضوع الفيلم اللي عملته وأنت أكيد عارف السبب.

- أيوه، عارف إنه أزعج الجماعة هنا، بس معرفش إيه اللي حصل معاك.

- مش مهم اللي حصل، المهم اللي جاي، أنا عايز أمسح الورقة دي من ملفي خالص وأنت اللي هتساعدني.

- إزاي؟

- أنا هعمل فيلم عن الداخلية وجهودها والكلام الكبير اللي أنت عارفه، بس لازم رسالتي توصل. يعني أنا من نفسي مش هلاقي قناة تعرضه ولو لقيت ممكن الأمن يتحفظ بسبب مشكلتي. أنا عايز أبدأ من فوق، يعني أوصل الفيلم للوزارة وهي تديه للتليفزيون.

- كويس، أنا أساعدك إزاي؟

- مش الدكتور جمال أبو المجد نائب دايرتكم؟ هو وكيل لجنة الدفاع والأمن القومي، وشفته في جلسة النهارده لافت الأنظار في الدفاع عن وزارة الداخلية في وجود الوزير في مجلس الشعب. أكيد سهل عليه يوصلنا الفيلم.

كان وحيد يعلم منذ طلب الهباش لقاءه أنه في حاجة إليه كعادته مع كل من يعرفهم، ورغم ذلك فكر في كيفية مساعدته.

أخرج وحيد دفتره وطلب من الهباش أن يطلب من تليفونه

المحمول رقمًا، حين رد الطرف الآخر بدأ وحيد الحديث.

- مساء الفل يا عمنا، عامل إيه؟

- الحمد لله، مين معايا؟

- أنا وحيد عبد السلام، بس بكلمك من تليفون واحد صاحبي.

- إزيك يا أستاذ. أنت هنا ولا في البلد؟

- أنا هنا، إزي الشباب اللي عندك.

- كله كويس، خرينا نشوفك.

- أنا كمان عايز أشوفك، يناسبك إمتى؟

- والله أنا سهران في المكتب، تعالى اقعد معنا شوية.

- طيب ساعة وهعدي عليك.

لم ينخرط وحيد يومًا في المعارك الانتخابية التي تدور في الكفر، لكنه يتابعها من بعيد ويعرف أطرافها، وتربطه بالمحيطين بالنواب والعاملين معهم علاقات جيدة، فمعظمهم من الكفر والقرى المجاورة وتزامنوا في المراحل الدراسية الأولى أو تعارفوا عبر أصدقاء مشتركين.

حين طلب الهباش مساعدته، اتجه تفكير وحيد مباشرة إلى الأستاذ كامل مدير مكتب الدكتور جمال.

كامل من نفس قرية النائب لكنه بحكم قربه منه يعرف كثيرين من أبناء الدائرة ومنها الكفر. عرّفه عليه مرة أحد أصدقائه في الكفر، وطلب كامل منه في وقت الحملة الانتخابية معاونتهم في صياغة بعض البيانات والشعارات للاستفادة من مهاراته كصحفي، لكنه اعتذر بلطف متعللاً بظروف العمل رفضاً للانخراط في هذه الأجواء وما تجره من مشاكل.

التقيا في الكفر مرات ولم يؤثر اعتذاره على علاقتهما واتصل به وحيد بشأن قرار علاج لأحد إخوة يوسف صديقه الذي عاد من غربته في السعودية بفشل كلوي، فلم يتأخر.

حكى وحيد للهباش هذه الخلفيات وراهن على أنه لن يتردد في مساعدتهما.

في الموعد، كان في ضيافة كامل في مكتب الدكتور جمال الذي يخصصه لأعماله البرلمانية بعيداً عن أجواء العمل، وإن كان ما يفصله عن المقر الرئيس لشركته شارع واحد.

ترك وحيد للهباش عرض فكرته على الأستاذ كامل، فطلب منه تلخيصها في رسالة موجهة إلى إدارة العلاقات العامة في وزارة الداخلية. كتب الهباش الرسالة وأعطاهما لكامل وهو ينظر إلى وحيد متشككاً في النتيجة.

فاجأهما كامل بتأكيده أنه، إكراماً لهما، سيوقع الطلب من الدكتور جمال الليلة حين يمر عليه في بيته لترتيب أوراق وطلبات

يحتاجها في جلسة الغد، وسيخبره أن وحيد مشارك في الإعداد لهذا الفيلم ولا بدّ من دعمه كأحد أبناء الدائرة.

أراد وحيد أن ينفي علاقته بالفيلم فضغط الهباش على ساقه ليصمت وبدأ في كيل عبارات الشكر للأستاذ كامل قبل أن يستأذنه لينصرفا.

في الشارع، أبدى وحيد للهباش غضبه من منعه من إيضاح أنه يتوسط له في موضوع الفيلم ولا يشارك فيه، فابتسم وهو يحاول تهدئته.

- أنت زعلان ليه، أنا مش من دايرتكم، يعني الدكتور جمال هيساعدني ليه، كويسة فكرة أنك مشارك في موضوع الفيلم ولما تمشي الأمور مش هيضرك حاجة، كامل جميلك بقى واهدى.

- ولو قلنا الحقيقة، إيه المشكلة؟

- ما احنا قلنا الحقيقة، مش أنت شريك في الفيلم، بالدعم المعنوي يا أخي.

نظر إليه وحيد مندهشاً قبل أن يتركه في الشارع ويستقل تاكسيًا ينقله إلى البيت.

\*\*\*

منذ أن عادا من الكفر، لم يفترق حسن وفرح، زيارتها لمنزل  
وحيد كانت إرضاء لحسن لم ينتظره، فضلاً عن أن وحيد نفسه  
تجاوز الأمر وسعى إلى الصلح بينهما.

أحست فرح بالذنب لفترة لأنها لم تخبر أباهما بزيارتها منزل  
وحيد ومقابلة حسن هناك، وحين استحکم غضبها من نفسها  
وإحساس أبيها في كل مكالمة أنها تخفي شيئاً، أبلغته.

غضب في البداية وصرخ في وجهها يسألها بأي صيغة ذهب  
إلى هناك، وكيف كان شكلها أمام أهل وحيد وهم ريفيون لهم  
معاييرهم الخاصة في الحكم على الناس، بل كيف كان شكلها  
أمام حسن..

بكت أمام قسوة عتاب أبيها، وسألها مرات خلال المكالمة أن  
تكف عن البكاء وتجيب عن أسئلته.

أمام بكائها المتواصل لانت لهجته مؤكداً أنه يثق فيها إلى أبعد  
مدى ولم يعارض أمراً اختارته يوماً، لكنه في النهاية أب يعرف  
أن براءة التصرفات وافتراس حسن النية عند كل الناس لا ينجيان  
من سياطهم إذا اطلعوا على ما يسوؤها..

هدأت فرح وتأسفت لأبيها قبل أن تحاول أن تبرر فعلها فقاطعتها، مكتفياً بأن تعده بأن تتروى في خطواتها وأن تفكر في عواقبها، ففعلت.

عندما علم حسن اتصل بأبيها يطمئنه إلى أنها تصرفت كعادتها بعفوية بعد مشكلة وقعت بينهما وأن ذلك لم يغير شيئاً في ثقته فيها، بل ألمح إلى أنه سيقدم بعدما يرتب أموره على خطوة تثبت له ذلك.

نقل والد فرح إلى حسن قلقه من نظرة أسرة وحيد إليها، وطلب رقم والده ليتحدث إليه يشكره على استضافتها ليؤكد بذلك علمه بذهابها إلى هناك.

قرر حسن السفر أياماً إلى الصعيد ليفتح والده بعد الاتفاق مع فرح في موضوع خطوبته لها ويناقش معه سبل تدبير نفقات الزواج وكيفية ضمان موافقة أمه.

كان والده ألمح له مرات إلى إحساسه بأنه يعيش قصة حب، وكان بالفعل يعرف بطلتها، لكنه لم يفصح.. كان ينتظر أن يبادر حسن ليتأكد على الأقل من أن الأمر ليس نزوة حتى يساعده على مواجهة أمه بالأمر وهو يعرف رغبتها في أن يقترن بابنة خاله.

لم يمانع والد حسن في اقترانه بفرح ونصحته بأن يستعد جيداً لمواجهة رغبة أمه، فابنة خاله جميلة وتدرس الصحافة بجامعة سوهاج وأبوها ثري. مدح حسن ابنة خاله قائلاً إنه لا ينقصها إلا

شيء واحد: أن يحبها كما يحب فرح.

لم تعترف أمه بهذا النقصان، حاول أن يجادلها محاولاً أن يقنعها فلم يفلح.

كانت في كل نقاش تبدي معارضة لأن يرتبط بواحدة من «بنات بحري» ويترك ابنة خاله التي تحبه وهذا يكفي عندها لأن تطمئن عليه، بل أكدت ثقتها في أنه سيحبها بعد الزواج.

تمسك والد حسن بحياد ظاهري، فهو مع اختيار ابنه، لكنه لا يرغب في إغضاب زوجته ولا أن يمضي الموضوع على غير رغبتها ولا أن تصل إلى أخيها إشارة إلى رفض ابنته.

ورغم ذلك، غضبت أم حسن من هذا الحياد ودعت زوجها إلى أن يحاول إقناعه برأيها فوعدها بأن يفعل.

توقف الثلاثة عن الحديث في الموضوع أياماً، لكن حسن كان يرغب في العودة إلى القاهرة -وبالأحرى إلى فرح- بقرار، خاصة أنه لم يستطع في مكالماتهما اليومية إخبارها بموقف أمه.

كان يبزر لفرح تأخره بالترتيب لبيع قطع أرض من ممتلكات والده، وكان ذلك صحيحاً لكنه ليس السبب الوحيد.

استشار حسن أصدقاءه المقربين في الصعيد، ففاجأه أحدهم بحل لم يتوقعه.

نصحه الصديق بأن يضع خاله في صورة ما يجري، فإذا ضمن

رضاءه تولى هو إقناع أمه بأنه لا إجبار في الزواج، خاصة إذا كان طرفاه متعلمين وقادرين على الاختيار، وإنه إذا كان حسن يهوى فتاة أخرى، فليس من الكرامة ربط مصير ابنته به.

تردد حسن في البداية في التحدث إلى خاله حتى لا يغضبه أو يزيد نقمة أمه، لكنه لم ير بدأً، فتوجه إليه.

استقبله خاله بترحاب وسأله عن أحواله وموعد سفره. كان الخجل بادياً على وجه حسن ولا يقدر على أكثر من ردود مقتضبة تنبئ بما يشغله.

المفاجأة أتت من الخال نفسه الذي عرف القصة كلها من والد حسن، وبينهما صداقة طويلة عضدها النسب، وقرر أن ينهي بنفسه الأمر مع أخته وأن يخبرها بأن حسن يرتبط بفتاة أخرى وأنه لا يغضبه ذلك، فالزواج نصيب.

كانت كل الأمور تدفع باتجاه موافقة أم حسن على زواجه من فتاة غير ابنة أخيها، وعندما اطمأنت إلى أنه لن يغضب بدأت تلين وسألت عن تلك البحراوية التي خطفت قلب ابنها.

عرف حسن أن بداية السؤال تعني تحولاً في موقف أمه فأخبرها باسم فرح وزمالتها واتفقهما على الزواج، فاشتترطت أن تراها أولاً فقبلَ يديها ووعدتها أن يصحبها ووالده إلى القاهرة، لكن بعد الزيارة القادمة، لأن عليه أن يسافر غداً.

\*\*\*

بعد أن عاد حسن من الصعيد بأيام، وبينما كان يسهر على إنجاز موضوع في المجلة وبجواره وحيد، فوجئاً بدخول الهباش يسبقه صوته العالي.

- فينكم يا أندال.. وديتوا البت فرح فين؟

تعانقوا قبل أن يسحب الهباش كرسيًا ويجلس في مكان يتوسط حسن ووحيد طالبًا منهما أن ينهيا ما يفعلانه بسرعة لأنه سيدعوهما إلى العشاء.

تبادلًا نظرات الاستغراب من هذه الدعوة غير المعهودة، لكنهما أدركا سريعًا أن خلفها أمرًا ما.

بعد نصف ساعة، غادر الثلاثة المجلة إلى مطعم سمك في عابدين ونظرات الاستغراب لا تفارق حسن ووحيد حتى أجبرته على أن يبرر لهما الأمر.

- ربنا كرمنا بشغلانة جيت أحترفل معاكم ونتفق على اللي جاي.

وقبل أن يستفسرا عن الأمر، نظر الهباش إلى وحيد يشكره على مساعدته له في موضوع الفيلم الذي وافقت عليه وزارة الداخلية.

لم يكن حسن يعرف شيئًا عن الموضوع، فلخصه له الهباش

وهو يوجه نظرات امتنان مصطنعة إلى وحيد.

أبدى حسن إعجابه بالفكرة وبجهد وحيد، لكنه طلب مزيداً من التفاصيل من الهباش:

- الاحتفال وعرفناه، الاتفاق معنا على إيه؟

- هتشتغلوا معايا في الفيلم، وقبل ما تسألوني إزاي أقول لكم. أنتوا صحابي ولازم تدعموني، غير أنكم شطار أصلاً وبتشتغلوا في مجلة قومية واللي اتوسط لنا نائب من الحزب الوطني، يعني... قاطعه وحيد: يعني أنت شغلتننا كلنا مع الأمن، أو بتغسل ملفك بأسمائنا كلنا..

فوجئ الهباش وحسن برد فعل وحيد ومفرداته، لكن المفاجأة الأكبر جاءت من حسن وهو يسأل عن الميزانية المرصودة للفيلم.

اقتنص الهباش اللحظة ورد بسرعة:

- 300 ألف جنيه، لكم منها 100، إيه رأيكم؟

كان العرض مغريباً، لكن حسن طلب التفكير في الأمر والتشاور مع وحيد قبل الرد، فأملهما الهباش حتى الغد.

غادرا المطعم إلى مقهى قريب أكملوا فيه السهرة التي تخللتها عدة اتصالات بين حسن وفرح التي سألت عما رمى الهباش عليهما في هذه الليلة فوعدها بأن يحكي لها التفاصيل غداً.

انصرف الهباش أولاً تاركًا حسن ووحيد وهو على ثقة أن الفيلم سيكون شاغلها خلال الساعات المقبلة، وأن المبلغ الذي سيحصلان عليه سيلعب دورًا في قبولهما.

بعد مغادرة الهباش، تبادلنا نظرات مستفهمة وغاب الكلام لفترة حتى بادر حسن إلى فتح الموضوع.

- إيه رأيك يا عمنا في السبوبة دي؟

- سبوبة إيه، دي مصيبة. الواد أكيد واخذ أكثر من كده وبيورطنا معاه.

- بيورطنا في إيه، معنى إنه اشتغل مع الوزارة إنه ملفه بقى نضيف وهو هيفضل محافظ على ده عشان مصالحه ما تتعطلش. وإحنا هنكتب نص أو سيناريو وناخد القرشين وخلص.

- يعني أنت شاغلك القرشين؟ هما صحيح مش قرشين، ده مبلغ محترم، بس الهباش بيوترني كل ما يظهر في سكتنا.

- ولا يوترك ولا حاجة، هو عايز حاجة عندنا وهيدفع تمنها، أهو مبلغ محترم يساعدنا في الجواز وأنت تدفع مقدم شقة في أي حته وعيش حياتك يا عم ووحيد..

- خلاص قررت الجواز، ما قلتليش وصلت مع الحاجة لفين؟

- هتمشي الأمور، قطعنا شوط كبير، قريب أقعدها مع فرح، المهم إنها اتخلت عن فكرة بنت خالي.

- يا مسهل الحال.

- بص إحنا بكره نبلغ الهباش بالموافقة ونتفق معاه على مراحل الدفع، وربنا يكثر السبوبات الفترة اللي جاية على ما نتجوز، أي حاجة تيجي من ولاد الهرمة دول فايدة.

استغرب وحيد حماسة حسن نادر لأمر يأتي من جهة الهباش وتذكر كيف ساندته في مواجهته مرات، لكنه اقتنع برغبته في إنهاء موضوع زواجه بسرعة بعد أن اقترب من الظفر بموافقة أمه.

نادى حسن نادل القهوة ودفع له الحساب وبقشيشاً ووعده وحيد، وهو يودعه، بلقاء في المجلة مساء غد بعد أن يعود هو وفرح من عرض في أحد مسارح الدولة بشارع عماد الدين دعاهما إليه مخرجه مع عدد من الفنانين الشباب والمسرحيين والصحفيين.

\*\*\*

اعتادت منى غياب وحيد وأيقنت مع الوقت أنه منذور لغيرها وبدأت تعيد تأويل ما كان بينهما. بالنسبة لكليهما كان الأمر، كما أعادت تفسيره، تعلقاً أو اعتياداً زادت من قوته الجيرة والعلاقة بين الأسرتين ومشاعر بكر لدى شابين لم ير أحدهما غير الآخر ولم يجرب إلا اهتمامه، وحينما اتسعت دائرة الرؤية لدى وحيد تيقن من حقيقة أحاسيسه وترك لها مساحة لمعرفة التوصيف الحقيقي لما كان بينهما.

لم تعد حانقة عليه ولا تعامل والديه بجفاء أو تغلق باب غرفتها لساعات. بدأت تخرج لزيارة صديقاتها القليلات، بل زارت أم وحيد مرة إمعاناً في إقناع نفسها بأنها شفيت تماماً مما عانتها.

أخرجت بعض كتبها الجامعية، تصفحت أوراقاً تحمل ذكرياتها مع وحيد حينما كان يذاكر لها فوجدت قلباً متناثرة في موضوعات الجغرافيا التي درستها في كلية الآداب، وأشعاراً وأغاني مكتوبة بخط يده وتحتها توقيعهما المشترك WM.

محت حرف الـ W وهي تتن وقررت أن تخرج من دائرة وحيد التي أسرتها طويلاً.

فاجأت منى والديها بأنها تريد الانشغال بدراسات عليا بدلاً من بقائها في المنزل بلا فائدة. لم يمانعا ولم يجادلها بأنها

ليست في حاجة إلى ذلك، لأنهما رأيا في ذلك فرصة للخروج من محنتها، رغم أنها كانت تفكر في أبعد من ذلك وهي أن تثبت لوحيد أن لديها ما هو أهم من البكاء على أطلاله، وأن إقدامها على بدء الدراسات العليا وحدها بعدما كان يرافقها في كل مراحل مذاكرتها ويرشدها إلى ما تفعل، إعلان للقطيعة الكاملة بينهما.

كان يوسف الذي درس الجغرافيا أيضاً في كلية الآداب سبق إلى هذه الخطوة وحينما قررت منى، بنصيحة من أبيها، استشارته شجعها وهو يعلم أيضاً حاجتها إلى ما يشغلها بعدما تأثرت بانفصالها عن وحيد.

أوصى أبوها يوسف حين قابله أمام المسجد بأن يساعدها في الإجراءات وأن يكون عوناً لها إذا احتاجت إلى شيء في الدراسة، فطمأنه إلى أن أمورها ستمضي كما ينبغي.

تعددت لقاءات يوسف ومنى في الكلية التي كانا يقصدانها أسبوعياً. كان يعرف سر مسحة الحزن البادية على ملامحها وعزوفها عن التعامل مع زملائها في الدراسات العليا، لكنه لم يشأ أن يكون البادئ بأي حوار ينكأ جراحها ويستعيد سيرة وحيد.

كانت رغبته في الاطمئنان عليها جلية لها في عينيه، وكانت سؤالها المكتوم عن وحيد ظاهراً له في كل لقاء بينهما بين الحكايا الدائرة بينهما عن الدراسة والأساتذة وأحداث الكفر التي كانت تسمع بعضها من أبيها وتستكملها من يوسف بأسلوبه الجذاب

في الحكي الذي لا يتخلى عن الوقار والرجولة.

مع الوقت بدأت رغبة يوسف في الاقتراب منها تطغى على أملها في أن تعرف شيئاً عن وحيد، انفتحت بينهما مساحات أكبر للحديث من دون أن تتسع للماضي.

كان حاضرهما هو الطاغي مجسداً في لقاءاتهما الأسبوعية في الجامعة، بل أصبح ينتظرها في المحلة حيث يعمل في مكتب الكمبيوتر ثم يذهبان معاً إلى طنطا وبدأ يعودان منها إلى الكفر معاً.

اضطرتهما ظروف المواصلات مرات إلى أن يتجاوزا في الميكروباص، كان حريصاً على ألا يلامسها، لكنه حين تقاربت ساقاهما مرة اشتعلت النار في جسده وأحس بالخجل وأقسم أن يجلس بعيداً عنها في المرة المقبلة، لكنه لم يفعل.

كان يوسف يشعر بأن وحيد حجبها عنه سنوات، بل قال لنفسه إنها كانت أسيرة لدى صديقه يرسم خطاها ويقرر لها ما تفعل من غير أن تناقشه.

بدأ يستريح لابتعاد طيف وحيد عنها، وزيادة المساحة التي تجمعهما تشعره بأن ذكرى صديقه تتوارى، لكنه لم يكن واثقاً في أن الجرح اندمل كلياً.

تمنى لو شقَّ عن قلبها ليؤمن بأنها كفرت بوحيد، كان يشعر بالراحة أحياناً، وبأنه في جحيم أحياناً أخرى من غير أن يجد أحداً يبوح له، فليس بوسعه أن يفتحها في أي شيء قبل أن

يطمئن قلبه، وصديقه الذي كان ينبغي أن يكون مستشاره ودليله في مثل هذه المواقف أصبح آخر من يمكنه اللجوء إليهم.

\*\*\*

منذ أن زارت دمياط قبل أن تذهب إلى منزل وحيد في المحلة، لم تلتق فرح بوالدها الذي فاجأها قبل الظهر بوجوده في صالة استقبال بيت المغتربات الذي تسكنه في المنزل.

أيقظتها موظفة الدار على خبر زيارة والدها، فنهضت سريعاً وبدلت ملابسها وخرجت لاستقباله.

في ركن من مكتب الاستقبال عانقته طويلاً قبل أن تعبر عن اندهاشها من هذه الزيارة المفاجئة. أخبرها بأنه افتقدها واشتاق لرؤيتها فوجد نفسه يأتي إليها.

لم يكن مسموحاً لرجل بدخول الدار التي تسكنها فرح منذ أن ودعت المدينة الجامعية مع انتهاء دراستها، ومكتب الاستقبال هو آخر حدود أقارب الساكنات حين يأتون لزيارتهم.

استأذنت فرح والدها لدقائق ذهبت خلالها إلى غرفتها وعادت بحقيبتها وتأبطت ذراعه وهما يغادران الدار إلى مقهى قريب اعتادا الجلوس فيه كلما زارها.

جلست فرح ووالدها في ركن من المقهى وسألت النادل الذي رحب بوالدها أن يأتيهما بإفطار من المطعم المجاور.

طلب منها الوالد أن تحكي له كل أخبارها خلال الفترة الماضية وتفاصيل علاقتها بحسن الذي ألمح له قبل فترة أنه سيخطو خطوة جديدة نحو ترسيخها.

روت له تفاصيل زيارة حسن الأخيرة للصيد وترتيباته المالية للزواج، فدعا الله أن تكتمل الأمور على خير.

وبينما يضع النادل الإفطار بينهما وكوبي ماء، سألتها عن وحيد وزملاء آخرين في المجلة يعرفهم فطمأنته إلى أحوال الجميع، وأنهم بين حين وآخر يحملونها سلامات إليه.

سألت فرح عن أمها، وغرفتها التي تفتقدها في منزل دمياط بكل ما فيها من ملصقات وكتب وشرائط كاسيت تتمنى زيارتها قريباً فانفجرت أسارير أبيها وهو يقول لها: خير البر عاجله، يلا سافري معايا اقعدي كام يوم معنا وارجعي تاني.

لم تكن ظروف العمل، كما أكدت فرح لوالدها، تسمح بسفرها، فضلاً عن أنها مرتبطة في هذا اليوم بموعد عرض مسرحي مع حسن.

ابتسم والدها وهو يقول: هنيا له سي الأستاذ حسن، ده بقى بطل العرض وأبوك رجع الكواليس وبعد شوية هتقولي لي أنا وأمك نقطع تذاكر قبل ما نشوفك.

ضحكت فرح ضحكة طويلة من رد والدها الذي يعكس سرعة بديهته وحضور قفشاته، لكنها كانت تعلم أن فيه أيضاً بعضاً

من الإحساس بافتقادها وخشيته من ابتعادها عنه ولو إلى كنف شخص يطمئن عليها معه.

أرادت أن ترد عليه بطريقته فمدت ذراعيها تطوق عنقه وتنظر إلى عينيه وبدأت الكلام بطريقة مسرحية:

- سيدي وحبيبي، لا يجروُ شخص آخر على أن يأخذني من أحضانك ولو كان زوجًا انتظرتَه طويلًا، ستبقى الرجل الذي يتسيد المشهد ويحرك كل الأبطال ويحيي وحده الجمهور في نهاية العرض.

بدأ بعض الزبائن النظر إلى المشهد الغريب وجنون هذه الفتاة المعلقة في رقبة رجل كبير في السن وهي تخاطبه بالفصحى. انتبه النادل إلى ما يجري وخشي من أن يوجه أحدهما كلمة غير لائقة إلى فرح ووالدها، فتدخل.

- يا ست فرح، الحاج واحشك للدرجة دي، أول مرة أشوف بنت عاملة مسرحية عشان ترحب بأبوها.

استحسن والد فرح تصرف النادل فحيّاه بإشارة من يده قبل أن يلتفت إليها يحدثها بصوت خفيض وهو ينهض من مقعده:

- مبسوطه يا بنت الكلب، أهى القهوة اتفرجت علينا وفكروننا اتنين حبيبة مجانين، يلا بينا نمشي.

ضحكت مرة أخرى بصوت عالٍ وقامت إليها تعانقه:

- ما هو أنت حبيبي يا رأفت.

أبعدها عنه وطلب من النادل حسابه ثم سبقها إلى خارج  
المقهى فلما لحقت به لامها بحنان على تصرفها.

- يلا يا بنت المجانين نمشي من هنا، روجي شغلك يلا وأنا  
هرجع دمياط.

- لا دمياط مين، تيجي معايا المجلة أتعايق بك قدام العيال  
الفرافير اللي هناك وبتغدى وبعدين تمشي براحتك، هو أنت  
لحقت تقعد معايا.

- يا بت سيبيني أمشي أمك لوحدها.

- هنكلمها من هناك في التليفون أسلم عليها ونبلغها إنك  
هتتأخر.

قبل أن يرد استوقفت تاكسيًا وفتحت له الباب ثم طلبت من  
السائق أن يتوجه بهما إلى المجلة.

\*\*\*

استيقظ حسن على اتصال من الهباش الذي كان يتعجل رده  
ووحيد على عرضه مشاركتها في الفيلم.

اعتدل حسن في السرير وأشعل سيجارة قبل أن يرد بالموافقة،  
فطلب الهباش أن يلتقوا في أقرب وقت لبدء العمل.

طلب حسن مهلة لعدة أيام ينهي خلالها بعض موضوعات  
المجلة العاجلة، فأمهله الهباش أسبوعاً يلتقيه بعده ووحيد  
للشروع في كتابة الفيلم.

لم يستطع حسن إكمال نومه بعد أن كان خطط أن يستيقظ  
قرب المغرب يستعد للذهاب إلى المسرح حيث تقابله فرح  
ليحضرا العرض معاً.

أعد لنفسه فنجاناً من القهوة ثم قرر أن يتصل بوالديه للاطمئنان  
عليهما.

تحدث إلى والده أولاً ثم استفاض في الحديث مع والدته وعرجا  
على موضوع خطوبته وعبر لها عن خشيته من أن تكون غاضبة  
منه بسبب موضوع ابنة خاله فدعت له بالسعادة مع من يختارها  
وسألته عن موعد رؤيتها لفرح فوعدها بأن يذهب إليها قريباً ثم  
يصحبها لرؤيتها كما اتفقا.

طلب أن يسلم على أخته وأخيه الصغيرين، سألهما إن كانا يحتاجان شيئاً يحضره لهما في الزيارة المقبلة وأوصاهما بوالديهما.

بعد المكالمة، ظهر رقم المجلة على شاشة الهاتف وحين رد وجد فرح على الطرف الآخر:

- كنت بتكلم مين يا أستاذ بقالك فترة وخطك مشغول؟

- صباح الفل، أبويا وأمي وإخواتي والله.

- يا راجل.

- والله أبويا وأمي.

- خلاص مصداك، أنا بقية أبويا جنبي.

- يا شيخة، جه إمتي؟ إديني أسلم عليه.

رحب حسن بوالد فرح وعبر عن سعادته بهذه الزيارة المفاجئة سائلاً عن مدة بقاءه معهم في القاهرة.

أخبره والد فرح أنه عائد إلى دمياط اليوم، فاستغرب ذلك وطلب منه أن يبقى معهم أياماً يسعدون بوجوده، فوعده أن يفعل ذلك قريباً على أن تكون معه أم فرح التي تركها بمفردها هناك.

بعدها تحدثت فرح إلى حسن وسألته عما سيفعله قبل أن يلتقيا في المسرح فأخبرها أنه سيكتب جزءاً ناقصاً من موضوع للمجلة

وقد يقرأ أو يجري بعض الاتصالات إلى أن يحين موعد مغادرته البيت.

أكدت له أنها ستتغدى مع أبيها في كافتيريا المجلة ثم تودعه قبل أن تقابله في المسرح، فودعها بقبلة عبر الهاتف أحست بحرارتها على خدها فأنهت المكالمة بخجل.

- ماشي، خلاص بقي، الراجل جنبي.

\*\*\*

دخل وحيد إلى المجلة فوجد والد فرح، تعانقا بشدة وتبادلا السؤال عن الأحوال قبل أن يسأله عما يشربه:

- لا يا ابني، من ساعة ما جيت وأنا بشرب.

- يبقى تاكل، نتغدى هنا ولا إيه رأيك أغديك في مطعم هيعجبك.

تدخلت فرح شاكرة وحيد وأخبرته أنها اتفقت على الغداء مع الكافتيريا وأنها ستزيد ما طلبته ليشاركهما الطعام.

وافق وحيد بشرط أن يحاسب هو على الغداء فلم تمانع فرح، بل مازحته:

- فلوس الهباش ظهرت ولا إيه؟

نظر إليها صامتاً فأدركت أنه لا يريد لأحد أن يعرف بالموضوع فخفضت صوتها وهي توافقه على تأجيل الحديث في الموضوع.

بعد الغداء، لاحظت فرح إعياء على وجه والدها فسألته إن كان يشعر بشيء، لكنه طلب منها الاطمئنان، فما يشعر به مجرد إجهاد من السفر. استأذنها في أن يغسل يديه فقاده وحيد إلى الحمام، فلاحظت من جديد ارتباك خطواته.

حينما رجع، طلبت فرح من والدها أن تعرضه على طبيب قبل

أن يسافر فأخبرها مجدداً أنه بخير، وأنه إذا استلزم الأمر سيراجع طبيباً في دمياط.

طلبت له عصير برتقال ثم شايًا بمجرد أن أنهاه أبلغها بأنه سيغادر ليترك لها مساحة من الوقت تنهي عملها قبل أن تلتقي حسن في المسرح.

أرادات مرافقته إلى خارج المجلة فطالبها بالبقاء، فعرض وحيد أن يتولى ذلك ولم يترك له فرصة الرفض.

عند السلم الخارجي للمجلة، فوجئ وحيد بتعثر والد فرح فجأة وسقوطه أرضاً، وفزع حينما رأى خيط دم يشق طريقه في وجهه.

سارع موظفو الأمن إلى معاونة وحيد في مساعدة والد فرح على النهوض، ثم طلبها أحدهم في التليفون فتركت كل شيء ونزلت إليهم.

فزعت لمشهد الدم على وجه والدها فاحتضنته وهي تبكي سائلة عما حدث. هدأ وحيد من روعها بينما تقف سيارة الإسعاف التي استدعاها موظف بالأمن بالقرب منهم.

حمل موظفو الإسعاف رأفت منصور إلى داخل السيارة ومضت به محاطاً بوحيد وفرح إلى مستشفى قريب. في الاستقبال، سأل وحيد عن مدير المستشفى الذي يعرفه واستعان به في بعض موضوعاته فأخبره الموظفون أنه في مكتبه، فسارع إليه.

خلال دقائق، كان وحيد يعود إلى الاستقبال بصحبة مدير المستشفى وقدم إليه فرح التي لم تتوقف على البكاء فرفع وجه والدها ومسح الدم بمنديل وطلب منها الهدوء لأن الموضوع بسيط.

نقل رافت منصور إلى سرير في الطوارئ والتف الأطباء في وجود مدير المستشفى حوله قبل أن يبدأ أحدهم في التعامل مع الحالة وينتهي إلى تشخيص مطمئن.

- جرح سطحي لا يتطلب خياطة، لكن الأستاذ في حاجة إلى راحة.

نظف الطبيب وجه رافت منصور وبدأ بتطهير الجرح ثم وضع ضمادة عليه قبل أن يناول وحيد رويشة وصف فيها مسكناً فقط ليحتمل الرجل الألم مع اندمال الجرح.

شكر وحيد الطبيب وطلب من فرح الانتظار حتى يذهب إلى مدير المستشفى لشكره، ولما رجع وجدها غاضبة من والدها الذي يصر على السفر وهو في هذه الحالة.

أيدها وحيد في رفضها وعرض أن يستضيفه ليوم أو اثنين حتى يستريح، لكنه أصر على السفر متعللاً هذه المرة بأمها، فرجته ألا ينشغل بها وأنها ستتصل بها دون أن تبلغها بما حدث، وستقول لها إنها في حاجة إلى بقاءه هنا حتى يتناقش مع حسن في بعض الأمور التي تخصهما.

تذكرت فرح أن حسن سينتظرها في المسرح، لكنها سألت نفسها إن كانت مهياًة للذهاب إليه في مثل هذه الظروف وما الذي سيقوله عنها وحيد وأبوها..

طلب وحيد منها أن تذهب إلى حسن وأن تترك أمر والدها له بلا قلق عليه، فأخبرته أنها سترافقهما حتى بيته وتتركهما يصعدان وتذهب لشراء بعض الأطعمة والعصائر والفواكه لهما.

أبدى وحيد غضباً وهو يسألها إن كان من اللائق أو الرجولة أن تنفق على والدها وهو في معه، فاعتذرت مؤكدة أنها لا تقصد إهانته، لكنها تعلم ما يحبه والدها، فطلب منها بحزم ألا تشغل نفسها بالأمر لأنه لن يسمح لها بأن تشتري شيئاً.

رافقت فرح والدها ووحيد حتى اقتربا من مسكنه واعتذر لها عن عدم استقبالها منعاً لحرصهم جميعاً بين بقية السكان، فأبدت تفهماً للأمر وأخبرته أنها ستجلس في مقهى قريب وأن عليه أن يعود إليها بعد فترة يطمئنها إلى حالة والدها.

سألها عن مواعدها مع حسن فأخبرته أنها ستتصل به تبلغه بما حدث وأنها لم تعد في حالة ذهنية تسمح لها بالذهاب إلى المسرح.

حينما اتصلت بحسن أحسّ بأمر مقلق في صوتها قبل أن تحكي له كل ما وقع منذ أن تحدثا في الهاتف. واعتذرت له عن عدم الذهاب إلى المسرح فأبلغها أنه لن يحضر العرض

وأنه سيأتي حالاً إلى بيت وحيد فاستحلفته ألا يفعل وأن يبقى  
لمجاملة صديقهما المخرج وأن يمر على بيت وحيد بعدها لرؤية  
والدها ثم الاتصال بها لطمأننتها لأنها ستعود إلى السكن بعد أن  
تلتقي وحيد.

عاد وحيد إليها بعد نصف ساعة يخبرها أن الوالد بخير وأنه  
تركه يستريح وسيذهب لشراء الدواء وما يلزمهما، فأخبرته أنها  
باقية في المقهى حتى يأكل والدها ويتناول الدواء ثم يعود إليها  
لطمأننتها، فلم يجد بداً من موافقتها.

قضت فرح نحو ثلاث ساعات في المقهى تدخن بوتيرة لم  
تعتدها حتى جاءها وحيد يتبعه أبوها.

فرحت للمفاجأة واحتضنته باكية فطالبتها بالهدوء وألا تكرر  
مشهد المقهى المجاور لسكنها وإلا طاردهما الزبائن بالأكواب.  
ابتسمت وهي تمسح دمعها وتحمد الله على سلامته فاحتضنها  
هو هذه المرة وطالبتها بأن تذهب إلى سكنها وأنه سيبيت هذه  
الليلة مع وحيد إرضاء لهما قبل أن يسافر غداً.

ودعتهما وهي تطالبه بالبقاء حتى يستريح تماماً فطلب منها  
تأجيل هذا النقاش لأن عليها أن تذهب إلى السكن، فانصرفت  
وهي تشكر وحيد.

\*\*\*

بعد سير التاكسي لدقائق، بدأت حركة الشوارع تتباطأ والزحام يزداد، بينما تتعاقب سيارات الشرطة والإسعاف.

تزاحمت الأسئلة على وجوه من في السيارات والحافلات ومن يسيرون في الشوارع. هرب سائق التاكسي بفرح إلى شوارع جانبية توصلها إلى الدار فشكرته مادحة خبرته التي أنقذتها في يوم هكذا تحتاج فيه إلى الراحة.

في الدار، وجدت موظفة الاستقبال تلصق أذنيها بالراديو وفي عينيها يبدو الجزع. استرعى الأمر انتباه فرح وهي تستعيد مشهد سيارات الشرطة والإسعاف في وسط البلد، فسألته عما حدث.

- حريق كبير يا أستاذة في مسرح بعماد الدين.

- فين؟

- مسرح في عماد الدين وبيقولوا فيه ناس كتير ماتت.

لطمت فرح خديها وهي تصرخ.

- حسن، حسن هناك.

بدأت الموظفات يتجمعن حول فرح بينما صراخها يشدد:

- حسن، حسن.

- مين حسن يا أستاذة؟

لم تتلق الموظفة التي سألتها إجابة، إذ هرولت فرح إلى خارج الدار تاركة حقيبتها. ألقت بنفسها أمام تاكسي كاد يصدّمها وقبل أن يبدأ السائق في شتمها لاحظ جزعها فترجع.

ألقت بنفسها في التاكسي طالبة من السائق أن يتوجه إلى شارع عماد الدين، حاول أن يعتذر لها، لأنه قادم من وسط البلد ويعلم بحجم الزحام هناك وسمع في الراديو خبر الحريق، لكنه أدرك أن قريباً لها بين الضحايا.

انطلق بها التاكسي من المنيل إلى شارع القصر العيني، لكن في نهايته عند ميدان التحرير وجد الطريق مغلقاً بالسيارات التي لم تعد تجد مهرباً من الزحام. أدركت فرح أنه لم يعد في وسع السائق أن يفعل شيئاً، أخرجت له ورقة نقدية وألقتها بجواره وغادرت التاكسي وبدأت الجري وسط دهشة من في السيارات والشارع.

لا تدري أي شوارع قطعت لكنها حين اقتربت من شارع الألفي وجدت هذه المرة بداية زحام بشري يحاول معرفة مصير من في المسرح ويكسوه دخان تزداد كثافته كلما اقتربت من شارع عماد الدين.

بدأت الكثافة البشرية تعوق حركة فرح، لكنها كانت أقوى من

أن تتراجع، خاصة أنها وجدت عشرات آخرين أتى بهم الهلع إلى المكان يبحثون عن أقارب وأحبّة كانوا يحضرون العرض.

وحده الطوق الأمني المضروب حول المكان استطاع صدها، وبينما توجه سيارات الإطفاء مياهاها نحو المبنى الذي بدأت ملامحه في التلاشي، صرخت في ضابط يقود مجموعة جنود يشكلون الطوق.

- فين حسن؟ فين حسن؟

لم تتلقَ ردًّا، فزاد إيقاع صراخها.

- فين حسن يا ولاد الكلب؟ فين حسن يا ولاد الكلب؟

تبعها من حضروا للاطمئنان على أقاربهم وأحبائهم وبدأت أسماء متنوعة تشكل الأسئلة الجزعى وفرح لا تسمع إلا صوتها واسم حبيبها وحده، إذ بدأت قواها تخور ووجدت نفسها وسط موجة دخان يخنق وعيها فسقطت وسط الجموع.

\*\*\*

كان والد فرح استسلم لنوم عميق بعد أن أقنعه وحيد بتناول بعض الفاكهة والعصائر والدواء المسكّن الذي وصفه الطبيب.

سأل الرجل قبل أن ينام عن سبب أصوات سيارات الشرطة والإسعاف، فأجابه وحيد بأن ذلك معتاد في القاهرة، خاصة في قلبها، وفي أي وقت، وأكد له أنه سيجلس في الشرفة وسيغلقها من الخارج جيداً ليقفل وقع الأصوات الصادرة من الشارع حتى ينام.

بمجرد أن خرج وحيد إلى الشرفة فوجئ بزحام السيارات الذي يتزايد في الميدان.

بدأ التدخين، لكن كثرة المشاة وهرولة بعضهم أوحيتا له بأن أمراً غير اعتيادي وقع. فتح باب الشرفة برفق حتى لا يزعج ضيفه النائم، وغادر الغرفة إلى الميدان يسأل عما يجري.

حين سأل بعض المجتمعين أمام مدخل العمارة عن الأمر، تباينت الإجابات غير الحقيقية، فالتخمين سيد الموقف، لكن أحد المارة توقف يتطوع بالإجابة.

- حريق كبير في مسرح في عماد الدين.. وأنا لسه جاي من هناك والدنيا مقلوبة.

لم ينه الرجل جملته حتى بدأ وحيد في الركض باتجاه عماد الدين، صدم أكثر من شخص في طريقه وتعثرت مرات، لكنه مضى من غير أن يكثرث.

كانت رائحة الدخان تستبين أكثر كلما اقترب من هدفه، لكنه لم يستطع أن يبلغه، فالطوق الأمني اتسع والحديث عن وجود مسؤولين كبار في المواقع يدور بين الجموع.

سأل إن كان أحد يعرف شيئاً عن مصير من كانوا في المسرح، فتباينت الإجابات مرة أخرى، لكن وحيد لمح مصوراً زميلاً بالصحيفة اليومية لمؤسسته يخرج من قلب الكتل البشرية إلى حيث ينتظره سائق دراجة نارية تستطيع التحرك به في سهولة إلى المؤسسة ليزود الصحيفة بصور من الحريق للطبعة الثالثة.

سأل وحيد المصور عما رآه في الداخل ومصير من كانوا في العرض فجاءه النبأ الصادم.

- كلهم بقوا فحم يا أستاذ، اللي باقي منهم بدؤوا ينقلوه للمستشفيات.

- وحسن؟

- حسن مين يا أستاذ وحيد؟

- حسن نادر.

- الأستاذ حسن زميلكم في المجلة، لا حول ولا قوة إلا بالله.

اسودت الدنيا أكثر في وجه وحيد وتشتت أفكاره ولم يعرف إلى أين يمضي، هل عليه أن يذهب إلى فرح في بيت المغتربات ويبلغها؟ لعلها نامت الآن ولن يكون من ينقل إليها خبر هذه الكارثة. هل يعود إلى غرفته ويوقظ أبيها ويستشيريه في ما يجب فعله، وما ذنب الرجل المتعب أساساً؟ هل يتصل بأهل حسن؟ وكيف يجرؤ على أن يطعنهم بهذا الخبر؟

تعلقت عينا وحيد بالمصور يغادر على الدراجة البخارية إلى المؤسسة القريية من موقع الحادث، فقرر أن يتبعه مشياً، على الأقل ليتمكن من إجراء بعض الاتصالات بمسؤولين ومثقفين لعل فيهم من يطمئنه بشيء قبل أن يتورط في إبلاغ أحد.

كان يملك بعض الأمل في نجاة حسن ويحاول إقناع نفسه بأن المصور ثقلت عليه قسوة اللقطات فلم يميز ما يقوله.

حينما وصل وحيد إلى باب المؤسسة، كانت الدراجات النارية بطلاة المشهد، فهي الأسهل في الحركة بالمحربين والمصورين وسط هذه الكارثة.

صعد إلى صالة تحرير الصحيفة، فوجد جلبة بين من فيها تكاد تتطور إلى معركة بين من يملكهم الغضب من روايات الزملاء العائدين من موقع الحادث عن فداحة الخسارة، وبين من يتهمونهم بالتهويل، حتى جاءت الصور فألجمت الجميع وبدا التأثر على كل الوجوه واليقيين من أن أحداً لم يخرج من جوف

النار التي التهمت المسرح ومعه فنانون وصحفيون ومثقفون  
ومحبون للفن.

تلقى مسؤول السهرة في الصحيفة اتصالاً كان فيه المستمع  
فقط ولما أنهاه طلب من زملائه في الديسك، بناء على ما تلقاه  
من تعليمات، تخفيف الصياغة والعناوين وإبراز اهتمام القيادة  
السياسية والحكومة بما وقع.

استفز الأمر أحدهم فاتجه إلى مكتب مسؤول السهرة ونفث  
دخان سيجارته في وجهه قبل أن يبدأ في الحديث إليه.

- يعني ولاد الكلب دول عايزينا نقول إيه بعد ما 200 بني آدم  
بقوا حطب لنار الإهمال والفساد؟ نخفف يعني إيه؟ نقول للناس  
كان حريق من الدرجة الأولى والحكومة هتلفه بشاش؟

قام إليه بقية الزملاء في الصالة يرجونه الهدوء والعودة إلى  
مكانه، فصاح فيهم طالباً منهم الابتعاد عنه ثم أطل النظر في  
عيني أحدهم قبل أن يسأله.

- هتخفف الصياغة إزاي يا أستاذ؟ هتقول لزميلنا وأصحابنا  
اللي ماتوا هناك إيه؟ هنواجه أساتذة المسرح، والممثلين الشباب  
أبطال العرض، والصحفيين والمثقفين اللي لسه شايفين بعضهم  
من ساعات إزاي؟ هتخفف الصياغة إزاي وزميلنا حسن نادر راح  
في قلب النار؟

أفتنا يا ملك العناوين، هتخفف العنوان إزاي وتحرق اللي راحوا

وأهاليهم مرة ثانية بالتعليمات؟ تعرف تقولي إيه العنوان؟

كان وحيد بدأ منذ أن فقد الأمل بما سمعه في نجاة حسن نادر  
يهذي وقبل أن يغادر المكان توجه إلى الموجودين في الصالة  
وصرخ فيهم مرات.

- العنوان عندي يا أساتذة، اكتبوا ”النار تأكل ضمير مصر“.

\*\*\*

توثقت علاقة يوسف ومنى، ورغم أن ظل وحيد بقي قائماً بينهما، تحاشيا الوقوف عنده، خاصة أنه لم يعد يزور الكفر كثيراً ولم يعد أبوها يأتي على ذكره، خاصة وهو يستريح لظهور يوسف في المشهد، وإن لم يكن واثقاً من أنها تخلصت تماماً من تبعات علاقتها بوحيد.

كان يوسف يمر بلحظات ضعف يكفر فيها بعلاقته بمنى وهو ممزق بين ما يربطه بوحيد وما يشده إليها، فكيف له أن يطوي صفحة شخص قاسمه كل شيء منذ تشكل وعيهما بالحياة؟ وهل يغضب وحيد إذا عرف بعلاقته بمنى؟ ولماذا يغضب وهو الذي بادر إلى التخلي عنها؟ وكيف يتعامل مع الموقف إذا فرضت عليه الظروف اجتماعه مع وحيد ومنى في موقف واحد، وهو أمر سيحدث بالضرورة إذا ارتبط بها؟ وهل يأتي يوم تخيره فيه بينها وبين وحيد؟ ماذا يفعل وقتها؟

كل هذه الأسئلة كانت تنهش عقل يوسف وقلبه كل فترة، لكنه كان يواجهها بأنه لم يخن صديقه ولم يخطف منه فتاة يحبها وأنه ليس من العدل أن يجامله ويتخلى عن حبه لها اتقاء لغضبه. وكان يوسف كلما استراح من حضور ظل وحيد يتملكه شك في حب منى له ويمضي مع الظن بأنها تضرب به صديقه أو تعوض

نفسها عن حب ضائع بعلاقة من شخص كان قريباً من بطلها.

تصرفات منى معه كانت تبرئها من ذلك أمام نفسه، واهتدى إلى أنها، بالإضافة إلى أخلاقها المشهود لها، وجدت فيه بصدق من يعوضها عن معاناة، وليس عيباً أن يرتبط الشخص بفتاة أحببت قبله، فمن تزوج بأول حب؟

قرر يوسف أن يتقدم لخطبة منى وأنه لا مجال لاستشارة وحيد، فالأمر سيكون ثقيلًا على نفسيهما، وحين سألها إن كانت مستعدة لهذه الخطوة بانث الفرحة في عينيها فاستشار والديه وإخوته ولم يمانعوا، وإن كانت إحدى أخواته اختلت به قبل ذلك سألته إن كان واثقاً من مشاعر منى تجاهه. أما والد منى حين نقلت إليه رغبة يوسف، فكان الأكثر وضوحاً، فرغم رضائه عن العلاقة شعر بالقلق عندما تعلق الأمر بخطوبة.

- يا بنتي الموضوع دخل في الجد، أنت عايزة يوسف ولا هنداوي جرح بجرح؟

- مفيش جروح ولا دوا يا حاج، أنا زي الفل ويوسف شاب كويس وابن ناس طيبين ومستورين ووقف جنبني الفترة اللي فاتت.

- يعني هتجوزيه عشان وقف جنبك؟

- لا طبعاً، يوسف ما يتعيبش وبيحبني.

- وأنت؟

- موافقة.

نظر فتحي إلى زوجته يحاول الاستتجاد بها فسألت منى مرة أخرى إن كانت واثقة مما تفعل، فأجابت بنعم.

عاد أبوها ليحذرهما من أن الأمر لا يحتمل اللعب بالمصائر وأنها تتحمل مسؤولية مستقبلها، لكن عليه وأمها واجب تنبيهها وتحذيرها.

أمام رضاها طلب منها أن تبلغ يوسف بانتظار زيارته وأهله في أي وقت، فانصرفت إلى غرفتها.

أعاد فتحي بث قلقه إلى زوجته وسألها إن كان من الواجب أن يبلغ عبد السلام، بحكم الصداقة والجيرة، بالموضوع ويطلب منه حضور جلسة الخطوبة، أم أن في الأمر حرجًا.

لم تجد أم منى حرجًا، بل قالت إن عبد السلام وزوجته هما الأولى بالشعور بالحرج، خاصة أن ابنيهما لم يراع عشرة ولا جيرة حين عشم منى ثم تخلى عنها بشكل لا يليق.

\*\*\*

غادر وحيد المؤسسة عائداً إلى محيط المسرح، حين نزل إلى الشارع أحس بأنه يختنق وأن القاهرة كلها على وشك أن تختنق.

شعر بأن حسن نادر يجاوره وسط دخان يكسو المدينة ويكاد يخفي أضواء ليلها الذي لا يستريح. حاول أن يتأبط ذراعه فلم يجده، فلفّ حول نفسه باحثاً عنه حتى شعر بدوار.

جلس على رصيف قريب ليستعيد أنفاسه فداهمته حقيقة أن حسن أكلته النار بين ما أكلت، فعاود السير لعله يظفر بإجابة عن بقايا جثة لصديقه أو أو شيء منه: نظارته، محفظته، بطاقته، أو يسمع صدى آخر ضحكة أطلقها في المكان.

سأل المحتشدين عن مصير الجثث فقال أحدهم إنها نقلت إلى مستشفى القصر العيني فقرر المشي إلى أقرب مكان يمكن أن يجد فيه سيارة أجرة تنقله إلى هناك، وإن كان ذلك صعباً.

عاد وجه حسن يرافقه في مشيه ويعيد رواية تفاصيلهما معاً منذ تعارفا حتى اللقاء الأخير الذي ناقشا فيه عرض الهباش حول مشاركتهما في الفيلم. سالت دموعه وهو يرى حسن يحاول إقناعه بقبول العرض لتكتمل قصته مع فرح..

أفاق وحيد على حيرة جديدة بشأن فرح، وما ستفعله حين

تعلم أن حبيبها تركها وزُفَّ وحده إلى السماء.

كانت خطواته تتسارع ولا يشعر بأي تعب رغم إرهاق الساعات الماضية.

عند باب المستشفى كان الزحام شديداً، فأقارب من كانوا في المسرح بدؤوا في التوافد يعلوهم الغضب والحزن، ووسائل الإعلام المصرية والأجنبية بعثت بمندوبيها ومصوريتها، لكن أحداً لم يظفر بمعلومة مؤكدة عن شيء، فالأبواب موصدة والأمن يطوق الموقف بأكمله.

كلما مر الوقت زادت رقعة الغضب والحزن، اشترى البعض نسخاً من الصحف لم يجد فيها إلا صوراً للمسرح مع خبر قصير خال من أي اسم من أسماء الضحايا.

استبد الضيق ببعض الحضور فبدؤوا في الهتاف ضد الحكومة ووزير الثقافة، وأبلغ أحد الضباط رؤساءه بهذا التطور فجاءته تعليمات بضبط النفس ومحاولة تهدئة الموجودين مع تأكيدات أن قائمة بأسماء الضحايا على وشك الصدور.

بعد ساعة خرج ضابط آخر بنسخ من القائمة تلقفها الحضور وبدؤوا في تداولها.

فوجئ وحيد بوجود اسم فرح بين المصابين واسم حسن بين القتلى. حار في الأمر، ففرح تركته مع أبيها وذهبت إلى بيت المغتربات ولم تكن في المسرح، فكيف ورد اسمها بين

## المصابين؟

الحيرة نفسها عبر عنها أكثر من شخص فوجئوا بأسماء أقارب للقتلى بين المصابين رغم أنهم لم يكونوا معهم، وحين تكاثرت الأسئلة وعدهم الضابط بأن يجد تفسيراً للأمر ولما عاد بعد أن غاب نحو ربع ساعة داخل المستشفى، أخبرهم بأن المصابين إما أشخاص تطوعوا في بداية الحريق لإطفائه فأصيبوا بكسور ورضوض أو آخرون اختنقوا وهم محتشدون حول المكان، ومعظمهم سيغادر خلال ساعات.

لم يعد وحيداً معنياً كثيراً بكيفية علم فرح بالحريق أو وصولها إلى المكان، إذ انكسر قلبه لهذه المفارقة التي جمعتها بحسن في المستشفى للمرة الأخيرة، وسأل نفسه إن كانت تعلم أنها تنام بالقرب من جثة حبيبها الذي التهمت النار حلمهما بالزواج، فجلس على الرصيف يبكي.

\*\*\*

كان خال حسن أول من علم بالأمر من قريب لهم في القاهرة يعمل في الإسعاف فانهار، لكنه أشفق على والديه وحاول التماسك للتعامل مع الموقف.

لم يملك شجاعة إبلاغ أخته حين ذهب إلى بيتها ووجدها تتابع مسلسلًا، سأل عن زوجها فأخبرته أنه مستلق في غرفته. دخل إليه وهو يجاهد لإخفاء المصيبة، فنهض مرحبًا به مستغربًا من القلق البادي على وجهه.

تحايل الخال على الأمر بأن أبلغ زوج أخته أنه زار طبيبًا أمس في أسيوط وشك في إصابته بورم يستلزم مراجعة طبيب في القاهرة وأنه سيسافر الليلة ويرغب في مرافقته له.

- إن شاء الله ما يكونش فيه حاجة، بس الدكاترة الكبار في مصر بيحتاجوا حجز، خليني أتصل بحسن يحجز لنا قبل ما نروح.

- لا، مش عايز أقلق حسن وأشغله، أنا كلمت الدكتور وحجزت ميعاد بكره بعد ما وعدت التمرجي إني هدفع له إكرامية كويسة.

- طيب ما حسن ممكن يقابلنا هناك أو يشوف لك دكتور أحسن.

- لا، ده أحسن دكتور وكل دكاترة مستشفى أسيوط دلوني عليه.

ولما نوصل هناك نكلم حسن ويمكن نبات معاه كمان، بس نظمن.

- طيب وأختك عارفة الموضوع ده؟

- لا، أنت تقولها على ما أنا أروح البيت وأجهز وأعدي عليك بالعربية تكون صحصحت ولبست.

طلب والد حسن من زوجته كوب شاي وأن تجهز له ملابس مكوية لأنه مسافر إلى القاهرة مع أخيها، فلما بان عليها الفرع أخبرها بالأمر، لكنه طلب منها أن يبقى سراً حتى يعودا.

ضربت أم حسن على صدرها وهي تدخل إلى المطبخ لإعداد الشاي قلقاً على أخيها، فدعاها زوجها إلى الهدوء لأن النتيجة إن شاء الله ستكون مطمئنة.

حين همّت برفع البراد من فوق البوتاجاز مست النار يدها فتأوهت فأسرع زوجها إلى الثلجة يخرج قطعة ثلج ويضعها على موضع الحريق، وهو يطلب منها أن تنتبه إلى تحركاتها، فهدأت من روعه قبل أن تسأله أن يأخذ معه شيئاً لحسن وأن يخبره أنها في انتظاره حتى تسافر معه لرؤية العروسة.

وعدها أن يفعل، لكنه طالبها بالإسراع في تجهيز ملابسه، فدخلت إلى الغرفة تخرجها من الدولاب. وبينما يرتدي ملابسه بعد أن شرب الشاي كان خال حسن على الباب يستعجله، فاحتضنته أخته وهي تدعو له بأن يعود مجبوراً لأن معظم كلام الدكاترة ينتهي إلى لا شيء، فحبس دموعه وهو يسأل زوجها أن

يلحق به بسرعة عند السيارة.

كان الرجلان عند مدخل القاهرة صباحًا، طلب والد حسن من خاله أن يقصدا مقهى ليشربا شيئًا يعينهما على الصمود للساعات المقبلة، لكنه طلب منه تأجيل كل شيء إلى ما بعد زيارة الطبيب، فوافقته تقديرًا لقلقه على نفسه، كما توهم.

قبل أن يصلا إلى المستشفى، أوقف الخال سيارته ونظر في عيني والد حسن قبل أن يجهش بالبكاء.

- فيه مصيبة يا خويا.

شعر والد حسن بالفزع وهو يرى دموع نسيبه ودعاه أن يصارحه بحقيقتة حالته الصحية، فزاده الرد فزعًا.

- إحنا انضربنا في مقتل، حسن مات..

صدم الرجل وبقي صامتًا لدقائق قبل أن يسأله.

- حسن مين اللي مات يا مجنون أنت، هو أنت السهر والسواعة ضربوا دماغك..

ضرب الخال رأسه في مقود السيارة وهو يبدأ في رواية التفاصيل، وما إن أتمها حتى فتح والد حسن باب السيارة فجأة وانطلق يركض إلى المستشفى.

\*\*\*

عند مدخل المستشفى، كان رأفت منصور والد فرح يقاوم إنهاكه ليجد له موقعاً بين الحشود. كان استيقظ في الصباح فلم يجد وحيد، خمن أنه ترك له الغرفة وذهب للمبيت عند أحد أصدقائه، فتح الراديو فوجد متابعة لحريق المسرح الذي راح ضحيته عدد من الصحفيين والمتقنين ترقد جثامينهم في مستشفى القصر العيني.

تذكر أن حسن كان بين المدعويين ولولا تعثره أمس ونقله إلى المستشفى لكانت فرح معه. أدرك أن وحيد ليس موجوداً لهذا السبب فهول إلى المستشفى ليعرف حقيقة ما جرى.

سأل أحد المحتشدين إن كان يعرف شيئاً عن الضحايا فناوله القائمة التي وزعها الضابط.

تنقلت عيناه بين أسماء المصابين وكله أمل أن يكون حسن ضمنهم، لكنه فوجئ بوجود اسم فرح.

قفزت عيناه بسرعة إلى الضحايا فوجد اسم حسن فخارت قواه وكاد يسقط لولا معاونة المحيطين له حتى أجلسوه على الرصيف.

انتقلت إليه الحيرة من وجود اسم فرح فسأل أحدهم مرة أخرى

عن طبيعة الإصابات فكرر ما قاله الضابط عن أن أصحابها سارعوا إلى إطفاء الحريق أو اختنقوا بالدخان الناجم عنه وهم مجتمعون بالقرب من المسرح.

نهض رأفت منصور بصعوبة ووضع جسده المنهك بين الحشود ليخترقها بصعوبة حتى وصل إلى باب المستشفى. أخرج بطاقته للضابط الذي يتقدم مجموعة من الجنود يغلقون الباب وقرأ له اسم فرح من الكشف، راجياً أن يسمح له بالاطمئنان عليها.

نظر الضابط في البطاقة والقائمة قبل أن يبدو على وجهه التعاطف مع رأفت منصور، لا سيما مع التعب البادي عليه، فأمر الجنود بأن يسمحوا له بالدخول.

ارتفعت أصوات من داخل الحشود معترضة على السماح بدخول رأفت منصور لم يلتفت لها الضابط الذي كان يريد الحفاظ على هدوئه في التعامل في ظل صعوبة الموقف الإنساني الذي يتواجد في قلبه، وأن الساعات المقبلة حين تأذن النيابة بتسليم الجثث ستكون أكثر قسوة على الجميع، لكنه لم ينس أيضاً أن أي انفلات الآن أو لاحقاً سيخضعه للمحاسبة، خاصة أن الحكومة تريد أن يمر المشهد بأقل قدر من الخسائر.

وبينما كان يبحث عنها في الداخل، كانت فرح تستفيق من جرعة مهدئة اضطر الأطباء إليها بعد أن ملأت الدنيا صراخاً كلما استردت بعضاً من وعيها حتى تعود إلى الغيبوبة ثانية.

سأل أبوها عنها فدلّه أحد الممرضين إلى سرير في أحد جوانب  
عنبر الطوارئ بين عدد من المصابين لم تستدع حالاتهم تدخلًا  
جراحياً.

حين رآها ألقى بنفسه فوقها يحتضنها ويحمد الله على  
سلامتها وهو لا يستطيع مقاومة الدموع. كانت تسعيد وعيها  
ببطء وتحاول ربط الصور الغائمة التي تتراقص أمامها.

لم تكن تعلم أين هي ولا لماذا يبكي أبوها، لكنها تشعر بجرح  
في روحها، رائحة لحم بشري يحترق تملأ أنفها وتجد نفسها مرة  
أخرى بين غابة من الدخان وهي تصرخ.

- حسن، حسن.



حين كان والد حسن يتنقل بين أبواب المستشفى راجياً من يسدونها أن يسمحوا له برؤية ولده، كان الخبر شاع في مدينته وتدفق الأقارب والجيران على بيته.

علمهم بسفر والده وخاله ليلاً فجأة هياً لهم أن الأسرة عرفت وأنهما ذهبا لاستلام الجثمان، فتسابقوا إلى تعزية أمه التي وقفت مشدوهة لا تعرف في من يعزونها.

صرخت ابنة خاله وسط الحشود المجتمعة في صالة المنزل كأنها تكتب السطر الأول في المرثية.

- كده تولع النار في قلوبنا وتمشي يا حبيبي.

تبعتها قريبة أخرى:

- في الجنة ونعيمها يا عريسنا.

صرخت فيهم الأم:

- عريس مين؟

تدخل عدد من رجال العائلة وأمروا النساء بالصمت، وإلا طردوهن جميعاً، لأنهم أدركوا أن أم حسن لا تعلم شيئاً.

احتضنها شقيقها الأصغر وأمسك يدها يقودها برفق إلى إحدى الغرف حيث أجلسها وحاول أن ينقل إليها الفاجعة.

كان يجد مشقة في ترويض الكلمات، ناور كثيرًا بكلام عن القضاء والقدر والابتلاء والصبر حتى صرخت فيه تنهيه عن الاستمرار في خطبة الجمعة التي لا وقت لها.

- لماذا سافر أخوك وأبو حسن إلى القاهرة؟

- حسن تعيشي أنت يا أختي.

- حسن مين؟ وتعيشي أنت يعني إيه؟

- حصل حادثة كبيرة في مصر، حريق راح فيه ناس كثير...  
منهم حس....

لم ينتظر أن يكمل الجملة وجرت إلى صالة المنزل، جذبت ابنة خاله من ملابسها بعد أن انتبهت إلى معنى ما قالته.

- مين اللي ولع في قلوبنا النار؟ حسن ولدي؟

ونظرت إلى كتلة من النساء متشحة بالسواد مواصلة الهديان من هول الصدمة.

- حسن ولدي راح؟ كلكم عارفين وجايين عزاه؟ لا، حسن جاي وهياخدني معاه مصر وهو مسافر أشوف عروسته. كلمني إمبارح وقال جاي ياخدني نشوف عروسته.

جذبت ابنة خاله من ملابسها مرة ثانية من غير أن تتوقف:

- حسن جاي وهياخدني معاه مصر أشوف عروسته. مش كده  
يا بنتي ولا الغيرة واكله قلبك. كل شيء نصيب يا بنتي وحسن  
أخوك مهما كان.

احتضنها أخوها وحاول أن يقنعها بالجلوس وهي تمانع  
لأنها ستبقى واقفة في انتظار حسن، لكن جسدها كان يخذلها  
تدريجياً فأوشكت أن تسقط قبل أن يسحبها إلى غرفتها ويأمر  
أحد الأقارب بأن يستدعي الطبيب.

\*\*\*

علم الهباش بالخبر عندما استيقظ بعد الظهر، فسارع إلى مسكن وحيد أملاً في أن يترافقا في هذا الموقف فوجده مغلقاً. ذهب إلى المستشفى لعله يراه هناك، لكنه لم يستطع وسط الزحام.

اخترق الهباش الجموع وذهب إلى الضابط طالباً أن يسمح له بالدخول لأن قريباً له بين الضحايا فرفض وطلب منه الانتظار حتى تأتي التعليمات قريباً بتسليم الجثث.

أخرج الهباش هاتفه وطلب مدير إدارة العلاقات العامة في وزارة الداخلية. أخبره بأن صديقه حسن نادر الذي كان سيعاونه في إنجاز الفيلم بين ضحايا الحريق وأنه يود الدخول إلى المستشفى لعله يساعد في تسهيل خروج جثمانه، خاصة أن أهله في الصعيد قد يتأخرون في المجيء ولا بد لأحد أن يتولى أمره.

وعده اللواء بأن يتدخل في الأمر وينهيه خلال دقائق، وطالبه بالانتظار عند الباب حتى تأتي التعليمات إلى الضابط.

عشر دقائق مرت، بعدها تلقى الضابط اتصالاً من أحد رؤسائه المتواجدين داخل المستشفى يأمره بأن يشكل الجنود ممراً بين الحشود استعداداً لخروج أحد الجثامين.

تعلقت العيون بحركة الجنود، وبمجرد أن اكتمل الممر أبلغ الضابط رئيسه.

بعد دقائق أتى صوت من مذياع المستشفى يناشد أهالي المرحوم حسن نادر الاستعداد أمام مدخل المستشفى.

بمجرد سماع الاسم، هرول أبوه وخاله إلى حيث يقف الضابط والهباش الذي سألهما عن صلتهاما بحسن قبل أن يرى وحيد يخرج إليه من قلب الجموع الواقفة بعد أن فشل الجنود في صده.

في الداخل سمعت فرح ووالدها النداء فعادت إلى الصراخ ونهضت من سريرها تحاول الركض لكن خطأها خذلتها فأمسكت بذراع أبيها الذي زادت دموعه وهو يرى نهاية حلمه وحلمها بأن يتأبطها ليسلمها إلى عريسها حسن، لكنه الآن يجرها حافية إلى بقايا جسده المحترق.

قابلا صندوق الجثمان خارجًا، لمحت فرح الاسم مكتوبًا عليه فصرخت من جديد وهي تستعيد صورة اسمه على موضوعات كثيرة في المجلة أو اسميهما متجاورين على موضوعات أخرى. أفلتت من يد أبيها لتقف أسفل الصندوق تساعد في حمله برأسها، فألقى نفسه بجوارها يسندها بيد وبالأخرى يشارك في رفع الصندوق.

حين خرج الصندوق احتضن الهباش وحيد ووجدا نفسيهما وسط دائرة تتسع، هما وخال حسن ووالده وفرح ووالدها في

القلب وحولهم والد وحيد ويوسف اللذان أتيا من المحلة بعد معرفة ما جرى، وزملاء من المجلة والمؤسسة وأقارب ضحايا آخرين وحثتهم المأساة وشعروا بأن كل جثة تخصهم فكسروا ممر الجنود وحاولوا جميعاً المشاركة في رفع الجثمان إلى بطن سيارة إسعاف تنتظر نقله إلى الصعيد، حيث يشب حريق آخر في القلوب ويمتد إلى كل مصر.

\*\*\*

خيّمت المأساة على مصر كلها، فالضحايا، فضلاً عن أنهم من معظم المحافظات، فيهم شخصيات أكاديمية وفنية وصحفية معروفة لم يكن ممكناً أن يمر سيناريو فقدهم بسهولة.

وسعيّاً لامتناس حالة الغضب التي استشرت بين الصحفيين والمثقفين، تبدلت تعليمات الساعات الأولى بالتعامل الهادئ مع الحادث، وبدأت صفحات الصحف تتسع لمقالات تنفث غضباً وتنديداً بالإهمال الذي قاد إلى هذه الفجيعة، ومقابلات مع أقارب للضحايا، وشهادات بحق بعضهم كتبها أصدقاء وتلامذة لهم.

تغطيات الإعلام الأجنبي الموسعة للحادث وتضامن شخصيات أجنبية مع ضحايا التقوهم في مؤتمرات أو زاملوهم في جامعات غربية فرض على الحكومة تعديل طريقة تعاملها مع الحادث، واقتراح أحد قيادات الحزب الوطني تخصيص جلسة في مجلس الشعب لمناقشة الأمر تحميل وزير الثقافة بعضاً من المسؤولية.

رفض وزير الثقافة أن يتحمل المسؤولية كاملة وحده وتساءل: لماذا لا تحاسبوا وزير الداخلية أيضاً؟ أليست الحماية المدنية من اختصاصه؟

كاد الأمر يتحول إلى أزمة بين الوزيرين لولا أن زميلهما وزير شؤون مجلسي الشعب والشورى أقنعهما بأن الأمر لن يتجاوز

المحاسبة الشكلية التي ينفّس فيها بعض نواب المعارضة غضبهم بينما يتناوب الحديث أغلب نواب الحزب الحاكم وأنه ستصدر لهم تعليمات بتوجيه قليل من الهجوم يتبعه إغراق المتابعين في شكليات واقتراحات وكلام إنشائي عن حتمية التحسب لعدم تكرار الأمر.

خشى وزير الثقافة من أن يستغل نواب «الإخوان» الموقف فجزم وزير شؤون مجلسي الشعب والشورى بأن شيئاً من ذلك لن يحدث وأنه سيتحدث مع الدكتور هشام حشمت قائدهم في المجلس للتنبيه عليه.

لم يكن لدى حشمت مشكلة في عدم الانضمام إلى نواب المعارضة في الهجوم على الحكومة، خاصة وزير الثقافة، وبرر لزملائه نواب الجماعة ذلك بأنه ليس من اللائق أمام كوارهم الدفاع عن ضحايا عرض مسرحي كان فيه تجاوز وخلاعة وليس مقبولاً الاضطفاف مع يساريين يسمون الضحايا «شهداء المسرح»، وكأن الشهادة أصبحت لعبة يوزعها من يشاء على من يشاء. مقابل هذا الصمت الإخواني على المأساة وتجاهلها، حصل الدكتور هشام حشمت من الوزير على وعد بوقف طباعة بعض الإصدارات التي ترى الجماعة أنها تحوي مخالفات للدين أو هجوماً على التيار الإسلامي.

ورفض وزير الداخلية الانضمام إلى الصفقة مع الجماعة خشية أن يكون ذلك اعترافاً منه أمام القيادة السياسية والحكومة

بمسؤوليته عن الحادث. وجرت اتصالات عليا ليكون وزير الثقافة وحده في مواجهة الأزمة، خاصة أن المسرح يتبعه وبعض الضحايا يعمل في جهات تابعة لوزارته وأنه وحده المستهدف بالهجوم منذ وقوع الحريق، فلا داعي لتفتيح الأعين على أي إهمال من جانب وزارة الداخلية، بل يجب شكر رجالها على سرعة تعاملهم مع الحادث.

مرت الجلسة كما رسمتها الحكومة، صرخ نواب المعارضة قدر طاقتهم وهددوا بمقاطعة مسارح الدولة وإقامة جنازات رسمية في مقار الأحزاب لكل الضحايا، مطالبين بإقالة الوزير حتى يستريحوا في قبورهم وتعلم أسرهم أن مخطئاً في مصر يحاسب.

أما نواب الحزب الوطني فطلب بعضهم الوقوف حداداً على الضحايا، فاستجاب الجميع إلا نواب «الإخوان»، وطلب البعض الآخر من الوزير أن يكرّم الضحايا تكريماً يليق بهم وأن يعرض أسرهم عن فقدانهم، فطلب الكلمة واعداً أن يفعل ذلك في أقرب وقت ممكن لأن من ذهبوا جزء من ثروة مصر البشرية التي هي أغلى ما تملك، فصفقوا له.

بعدها بردت الجلسة وهي تنتقل من كلام أجوف إلى غيره كان القاسم المشترك في الصحافة القومية في اليوم التالي التي روجت لما أسمته محاكمة للوزير وسياساته وانتصاراً للضحايا.

\*\*\*

مرت شهور على غياب حسن نادر لم تغادر فيها فرح منزلها في دمياط، حتى الطبيب الذي يشرف على حالتها كان يزورها هو بعد أن رفضت مرات أن تقصد عيادته.

عند خروج جثمان حسن من المستشفى كانت تود مرافقته إلى الصعيد، لكن والدها رفض، فهو مات وما بينهما زمالة ومشروع زواج لا يسمحان لها بأن تذهب خلفه إلى هناك كما فعل وحيد ووالده، لأن موقفه مختلف كرجل.

نظرت إلى وحيد تطلب منه ألا يترك حسن فأدار وجهه يخفي دمة، وانصاعت لرغبة أبيها لكنها رجته أن يغادرا القاهرة في الحال تاركين كل شيء يخصهما في غرفة وحيد أو بيت المغتربات، فانطلق بها إلى موقف دمياط.

منذ أن استقرت في دمياط انقطعت علاقتها إلا قليلاً بالطعام والشراب ولم تبرح غرفتها إلا مرات نادرة بإلحاح من أبيها الذي كان قلقه يزداد وهو يرى شحوبها وانزواءها ودفن نفسها بين كل ما يخص حسن: موضوعات من المجلة، أوراق بخط يده كانت تهوى الاحتفاظ بها، صور لهما في رحلات عمل...

رأت أم فرح أن يسافروا إلى مكان قريب لعلها تخرج مما هي فيه، واقترحت رأس البر، لكنها رفضت الخروج إلى أي مكان.

دعاها أبوها إلى أن تعود إلى العمل، رغم علمه بصعوبة ذلك، لعلها تشغل فسألته ألا يكرر هذا الطلب، لأنها لن تذهب إلى المجلة مرة أخرى.

لم يكن أبوها يعلم أنها تدخن وصد من شراحتها في التدخين حتى بدأ صوت سعالها يتجاوز المنزل، ومع الوقت كانت صحتها تسوء ولا تقوى حتى على الوقوف.

اضطر أبوها إلى الاستعانة بطبيب نصحها حين أتاها المنزل بأن تهتم بالأكل وتمتنع عن التدخين أو على الأقل تخفف منه وإلا ساءت العواقب، لكنها تجاهلت نصائحه والأدوية التي وصفها لها.

رأى الطبيب أمام جزع والد فرح الذي حكى له الضغوط التي تعرضت لها في الفترة الأخيرة، أن يراها طبيب نفسي ويادر بالاتصال بزميل له قال إنه يثق في خبرته وعلمه.

لم يكن والد فرح يملك شجاعة أن يخبرها بأمر الطبيب النفسي، فضلاً عن أن يصحبها إلى عيادته، فطلب منه أن يأتي هو المنزل بأي مقابل يطلبه.

أدركت فرح منذ البداية أنها أمام طبيب نفسي وبدأت غير معنية أصلاً بوجوده، لكنها بإلحاح منه ومن أبيها بدأت تتحدث معه بإيجاز وترفض ما يقوله عن أن الحياة ستستمر رغم قسوة فقد من نحب.

مع كل زيارة كانت تزيد مساحة حوارها مع الطبيب الذي أخبرها أنها أولى الناس بمعالجة نفسها وإلا تكون على طريق الانتحار، لكنه سيضطر إلى أن يصف لها بعض الأدوية التي تعينها على التعافي.

أخذت في تناول الأدوية بضغط من أبيها والطبيب فظفرت ببعض من النوم العميق لكنها احتاجت وقتاً آخر لتقبل على الطعام بكميات قليلة.

كانت في نومها لا ترى إلا حسن فتستيقظ باحثة عنه في الغرفة وتحضن صورته وموضوعاته. كانت تدرك رويداً رويداً حقيقة غياب حسن الأبدي، لكنها تتمزق للطريقة التي رحل بها ومعه كل أحلامهما.

بدأت فرح في الخروج من غرفتها لكنها لا تستقر طويلاً في مكان، فهي تنتقل بين الصالة والمطبخ والبلكونة وكانت هذه النتيجة مرضية لوالديها، خاصة أنها كانت تدخن بكثرة، لكن والدها كان يقول إن ذلك أفضل من انغلاقها على نفسها وحبسها الاختياري.

\*\*\*

لم تتأثر فرح وحدها برحيل حسن، وإن كانت الأكثر شعورًا بقسوته، فالهباش توقف مشروع فيلمه مع وزارة الداخلية لفترة ثم قرر أن يوكل مهمة إنجازهِ لرابح، خاصة أن وحيد هو الآخر بقي في الكفر ولم يعد إلى القاهرة.

كان وحيد يشعر بعبثية الحياة ولا جدواها، فالشخص الذي ساعده على تحديد مساره وأرشده إلى طريق واضح اختفى فجأة بطريقة لا تليق به ولا بمن أكلته النار معهم معلنة نهايات أحلام وطموحات وأسر.

اعتصم وحيد بالمنزل في الكفر يقرأ ولا يلتقي إلا يوسف، حاول والده أن يدفعهما مرات إلى الخروج إلى الحقول أو زيارة بعض الزملاء والمعارف، لكنه كان يرفض. وحاول أن يقنعه بالسفر إلى القاهرة لاستئناف عمله فلم يفلح.

حاولت أمه أن تستفزه فأخبرته بأن يوسف ينوي خطبة منى، فلم يعلق أو يبدي اهتمامًا ولم يتحدث مع يوسف الذي قرر تأجيل الخطوة احترامًا لحزن صديقه.

مضت الأيام بوحيد متشابهة في الكفر، حتى فوجئ ذات ظهيرة بزائر لم يتوقعه.

كان الزائر رأفت منصور والد فرح الذي فكر في أن شخصاً  
عزيراً على حسن مثله قد يحاول إقناع فرح باستئناف حياتها  
والرضا بقدر رحيله الذي لن يغيره حزن أو غضب.

رحب وحيد وأسرته بوالد فرح الذي استأذن والده في أن يصحبه  
معه إلى دمياط أملاً في أن يساعده في إخراجها من عزلتها، فأيد  
الفكرة مشفقاً على الفتاة التي احتملت محنة قاسية وفكر في  
الوقت نفسه في أن تصدي ابنه لهذه المهمة يفيد أيضاً.

أوشك وحيد أن يرفض، فكيف له أن يمنح فرح ما لا يملكه:  
الرغبة في التعامل مع الحياة ثانية، لكنه اعتبر أن مساعدتها وفاء  
لصديقه.

بات رأفت منصور ليلته في منزل وحيد وفي الصباح تحركا  
معاً إلى دمياط وحين رآته فرح في صالة منزلها انهارت وألقت  
بنفسها على أقرب كرسي قبل أن تدخل في نوبة بكاء طويلة.

حاول أبوها تهدئتها، لكن وحيد أشار له بأن يتركها تبكي كما  
تريد.

استغرقت فرح وقتاً في البكاء قبل أن تكفكف دمعها وهي  
تنظر إلى وحيد تسأله عن حبيبها الغائب للأبد.

- فين حسن؟

- حسن في قلوبنا، ومش لازم نحرقها كمان عشان ما نخسروش

مرة ثانية. كفاية علينا حريق واحد.

نظرت إليه صامته فجلس بجوارها متشجعاً على المواصلة:

- إحنا مرينا بفجيعة جماعية وجعت قلوبنا كلنا، بس يمكن من رحمة ربنا بينا إنه فيه زينا كتير فقدوا أحبابهم، وأكثر منهم اتعاطفوا معنا ولازم كلنا ناخذ بإيد بعض عشان نعدي.

- أنا مليش دعوة، أنا اللي يخصني حسن، اللي قتلني حسن.

- وأحسن شيء نعمله لذكرى حسن أن احنا نكمل، مش هيبقى سعيد لو استسلمنا للحزن لغاية ما يقتلنا إحنا كمان. خلينا نساعد بعض ونرجع نعمل اللي كان بيحبه.

- كل اللي كنا بنحبه كان مقسوم على اتنين: أنا وهو، إزاي أطاوع أنانيتنا وأرجع أعمل أي حاجة لوحدي.

- مش لوحدي، هو أكيد معاك في كل حته بيشجعك وحبك لك بيزيد، ما ينفعش تخذليه.

تدخل والد فرح لمساعدة وحيد على إقناعها الذي بات قريباً، لكنه لم يستطع أن يحتفظ بهدوئه ودفعه إشفاقه عليها إلى الصراخ فيها على غير عادته.

- حذرتك من بدري من وجع القلوب والجمر، بس ما كانش أقدر أمنعك من حاجة لغاية ما وصلت للنار اللي أنا وصلت لها قبلك بس من طريق تاني، صحيح حسن مات بس أنا منفي هنا

ومش فارق كثير عن الأموات. أنت الوحيدة اللي بتديني معنى الحياة، لو عايزاني أموت خليك قاعدة هنا لغاية ما تكسري قلبي وتخسريني أنا كمان.

قامت فرح إلى أبيها تحضنته، وتبدل الموقف فأصبحت هي من يشفق عليه. مسحت دمة سالت رغماً عنه وقبلت يده فعاد إلى مناشدتها أن تعود إلى الحياة الطبيعية، فليس في ذلك خيانة لحسن الذي لن يهنأ بتألمها. وعدته أن تفعل ذلك في القريب العاجل.

استغل وحيد لين فرح فنظر إلى أبيها بما يشبه الاستئذان قبل أن يقترح أمراً:

- القريب العاجل ده بكره، لو عمي يسمح لي أبات هنا النهادره وبكره ناسفر أنا وأنت القاهرة.

حاولت أن تتوَجَّل هذه الخطوة، لكن أباه لم يترك لها فرصة، فأيد اقتراح وحيد ونادى على أم فرح تجهز الغداء.

\*\*\*

دخلت فرح القاهرة كأنها تراها لأول مرة، كانت موحشة وقاسية رغم زحامها.

شعرت بالتيه وسط هذه الحشود البشرية المتدافعة إلى وجهاتها المختلفة. فتّشت عن وجه واحد فقط: وجه حسن في كل من تراهم ولم تجده.

أما وحيد فكان يشعر ببعض اليتيم واعترف مرة جديدة لنفسه بأن حسن كان بمثابة أستاذه ودليله ولولاه ما عرف طريقاً إلى ما هو فيه الآن. وسخر من نفسه، لأنه أدرك أنه لا يعرف أين هو الآن ولا من هو، فقد أعاده رحيل حسن إلى نقطة الصفر، فلا صديق مثله يلوذ به ولا عمل يشغله بعد أن انقطع عن المجلة خلال الفترة الماضية.

حتى حين طلب منه زميل في جريدة حزبية أن يكتب مقالاً عن حسن نادر في عدد مخصص عن ضحايا الحريق لم يقو على الإمساك بالقلم وعجز عن ترتيب كلمات تفيد شيئاً، فاعتذر.

على الباب الرئيس للمؤسسة، زاد موظفو الأمن والزملاء الداخلون أو المغادرون أحزان حسن وفرح التي كانت تجر قدميها جرّاً رافضة الدخول، لولا أن وحيد شجعها، فالتعازي انهالت عليهما، خاصة مع ظهورهما الأول منذ غياب حسن.

عند باب المجلة توهمت فرح أنها ستجد حسن خلف مكتبه منهمكاً في كتابة موضوع وأمامه فنجان القهوة فيرفع رأسه سعيداً برؤيتها قبل أن يحتضنها بعينيه وهو يستقبلها مبتهجاً.

دخلت أولاً صالة التحرير فوجدت حسن مبتسماً وعيناه تلمعان في صورة رسمها أحد فناني المجلة، فتسمرت قدماها واستدارت مغادرة لكن وحيد استبقاها وأمسك يدها يقودها إلى مكتبها الذي تراكمت عليه الرسائل وأعداد المجلة التي صدرت في غيابها.

ألقت رأسها فوق ما وجدته على المكتب لا ترفعها إلا كلما دخل زميل يعزيها، بينما وحيد صامت يسلم على المعزين والزملاء مكتفياً بهز رأسه.

طلب لهما أحد الزملاء فنجان قهوة ولما أتى موظف البوفيه بهما صرخت في وجهه: فين قهوة حسن، فوضع الصيينية وغادر بسرعة بعد نظرة من وحيد ترجوه أن يتفهم وضعها.

كلما أرادت أن تغادر كان وحيد يرجوها البقاء قليلاً، كان يعتمد إلى أن تتعايش مع حقيقة غياب حسن وأن تعتاد المكان مع صورته وبقاياها التي حافظ عليها الزملاء.

بعد ساعتين أشفق عليها وطاوعها في المغادرة، خرجا إلى الشارع فتجدد إحساسها بالضيق، فلا اتفاق مع حسن على غداء في مطعم قريب ولا سهرة في السينما ولا نزهة على النيل أو حتى تسكع في شوارع وسط البلد التي تحفظ خطاهما وتكاد تنطق

بمفردات حواراتهما الدافئة الحنونة ومشاداتهما وغضباتها التي كانت تنتهي في كل مرة بدمعات منها واعتذار يقبله على الفور فتتشابك أيديهما ويمضيان في طريقهما.

استوقف وحيد تاكسيًا ليوصلها إلى بيت المغتربات فركبت صامتة وعندما وصلت ألقّت تحية عجلى على موظفة الأمن وقصدت غرفتها، بينما أوصاها وحيد أن تعتني بها وأن توفر لها احتياجاتها بعد فترة الغياب.

سألت الموظفة وحيد ألا يقلق فأعطاها مبلغًا وسأل عن المتأخرات المترتبة على فرح وسدها قبل أن يغادر إلى سكنه.

\*\*\*

بعد الظهر، قصد وحيد المجلة وكان أول ما فعله الاتصال برأفت منصور يطمئنه على فرح وأن صدمة العودة مرت بسلام، فحمد الله ورجاه أن يكون بجانبها وأن يشجعها على الانشغال بالعمل حتى تسترد كامل عافيتها.

احتاج الأمر وقتاً لتلقي فرح بنفسها في دوامة العمل، كانت متعبة النفس والجسد، كلما قررت الصمود ضربتها تفاصيلها مع حسن نادر.

حين سمعت صوت نجاة ينطلق من مذياع أحد المحال مرة:

على المقاعدِ بعضٌ من سجائره

وفي الزوايا بقايا من بقاياها

بعدها اشترت الشريط وكانت تقضي معظم وقتها في بيت المغتربات أو المكتب في الاستماع إليه، حتى بعدما بدأت تشترك مع وحيد في مهام صحفية كانت تعطي سائق المجلة الشريط لتشغيله طوال الطريق.

كانت تحترم وحيد وتؤمن على نفسها في وجوده، وتعرف أن أباهما بكل ما يملك من خبرات في الحياة وثق فيه ولجأ إليه ليشاركها في دعمها.

فوق ذلك، كان وحيد الصديق الأقرب لحسن وثالثهما في مواقف كثيرة وزميلهما في العمل المشهود له بالكفاءة.

فضلت أن تكون أي موضوعات مشتركة مع وحيد، خاصة أنه يحترم بدوره السياج الذي تضربه حول خصوصيتها ولا يقتحم أبداً مساحتها التي تختلي فيها مع طيف حسن وبقاياها، أو بقايا بقاياها التي تحيا مع نجاة ذكراها كل الوقت.

لم تكن تحتفظ بروحها المنطلقة التي كانت تتعامل بها مع الزملاء ومصادر الموضوعات، فكانت تضيق بسرعة وتعبر عن ضيقها بلا مراعاة لأي اعتبارات، وكثيراً ما اعتذر وحيد لأشخاص نالتهم آثار عصبيتها.

مع الانهماك التدريجي في العمل، لم تسافر فرح إلى دمياط ولم يزر وحيد أهله لفترة، اكتفى باتصالات هاتفية مع والديه، لكن رأفت منصور كرر زيارته لهما في القاهرة وبدأ حين قصد المجلة وبيت المغتربات يستريح قليلاً من تفكيره الدائم في أحوال فرح.

بات رأفت منصور مع وحيد مرات في سكنه ودعاه إلى أن يرافقه وفرح أكثر من مرة في تناول الغداء أو الجلوس على المقهى أو شراء بعض احتياجاتها.

كان الأب لمح في عيني وحيد شيئاً ما مكتوماً يخص فرح، لكنه لا يستطيع حتى الإشارة إليه، خاصة أن وحيد بقي محافظاً على

المسافة بينهما، وإن بدأ يتعذب بأسئلته الذاتية عن معنى إحساسه تجاهها ومستقبل هذا الإحساس وكيفية تقبلها له بعد العلاقة التي جمعتهما بحسن وتركت -ولو بالنار التي أكلته- نقشاً في داخلها.

آثر وحيد الصمت، وفضل رأفت منصور أن يراقب من بعيد وهو واثق أن كل شيء في الحياة ممكن وأن تصاريف الأيام تأتي بالعجائب وما كان يتبدى في أوقات مستحيلاً.

أما فرح قنعت بما أصبحت عليه، تقضي الأيام بين العمل وقضاء أوقات مع والدها حين يزورها مقرراً ألا يطالبها بالسفر إلى دمياط، لعلها تريد البقاء في ظل حسن. كان همه فقط ألا تتلاشى روحها خلف هذا الظل.

ورغم ذلك، بدأت تنتبه إلى هذا الخيط الروحي الذي يربط والدها بوحيد، بل أفاقت غير مرة من استغراقها في التفكير في وجود وحيد ثالثاً لهما معظم الوقت كما كان حسن. أعادها ذلك إلى بدايات الجمر ومآلاته: بداياته التي أدركها والدها حين لمس ما يربطها بحسن، ومآلاته التي ألقت به في النار فرحل وتركها في سعي الذكريات.

كانت الانتباهة الكبرى، على الأقل بالنسبة لها، حين حضر والدها لزيارتها بينما غادر وحيد إلى الكفر لرؤية أسرته بعد تأنيب والديه له.

\*\*\*

ارتى وحيد في أحضان أمه وقبّل يديها مرات معتذراً عن غيابه الذي كان والده يتعامل معه على أنه أمر عادي حتى من قبل رحيل صديقه.

سأله والده على الغداء عن فرح ووالدها وتطورات حالتها وكيفية تعاملها مع الموقف بعد مصيبة حسن، كما سماها، فحكى له ما تيسر من أمورها قبل أن يستأذنها في أن يتركاه ينام ثم يستيقظ وقتما يريد.

لم يدخل وحيد غرفته، بل إلى غرفة الضيوف يأنس بذكرات الليلة التي قضاها فيها مع حسن نادر قبل أن تأتيهما فرح فجأة في الصباح.

واستعاد صوت فريد الأطرش وهو يصدح وقتها:

”بنادي عليك

اسمع ندايا معايا

قبل ما أندهلك

وأحن إليك

وكل لحظة تفوت

من عمري تشتاقلك».

بعدهما تلاشى صوت فريد حضر هذه المرة وجه فرح فقط فخلج وحيد من صديقه الذي ترك له ذكريات لا تنسى تتوسطها فرح، كيف له أن يفكر فيها أو يشعر بالبهجة في جوارها؟ هل في ذلك خيانة لحسن الذي سيبقى يطاردهما في كل مكان، أم منع لها من أن ينعم بها شخص ثالث؟

توالت الأسئلة بلا إجابات إلا الحيرة والإحساس بتشتت كالذي عاشه وحيد في البدايات حتى استسلم للنوم واستيقظ مع أذان المغرب.

منذ أن سمعت سعاله في الغرفة ورائحة الدخان تتسلل من تحت الباب، جهزت له أمه كوب شاي تلقاه بشكرها لكنها رجته أن يرحم نفسه من هذا السم الذي يأكل صحته، تقصد التدخين، فوعدها أن يفعل تطيبياً لخاطرها.

تنقلت أمه بين موضوعات عدة ففهم أنها تريد الوصول إلى شيء بعينه.

- خير يا حاجة، عايزة تقولي إيه؟

- مفيش يا ابني، بس منى..

- مالها؟

- صعبانة عليا وبختها قليل.

- ليه؟

- صاحبك سابها ورجع في موضوع الخطوبة، وهي يا عيني مش طايقة تشوف حد ولا تتكلم مع حد، وبتقول....

- بتقول إيه يا أمي، بتقول وحيد وصاحبه دمروني؟ عندها حق والله.

ترك وحيد شايه وخرج قاصداً منزل يوسف فالتقاه عنده عائداً من صلاة المغرب.

تعانقا بعد غياب فعلت خلاله الدنيا بكل منهما ما فعلت واحتشدت الحكايات داخلهما تنتظر لقاء تتدفق فيه.

بمجرد أن استقرا في غرفة يوسف بدأ وحيد الكلام:

- عايز أسالك على حاجة.

- عايز تسألني سبت منى ليه؟

- صحيح.

- بسببك.

- أنا؟

- أيوه، أنا اتعذبت كتير بمجرد إنني عرفت إنني بفكر فيها وخفت أكون بخونك أو بخطف حاجة منك لحد ما هديت وعرفت

إنك سببتها لأي سبب أنت شففته مش مهم. وكان عندي استعداد صادق أكمل معاها للآخر، بس أنت منعتني.

- أنا منعتك؟ إمتى يا يوسف؟

- في كل مرة كنت بشوفك فيها واقف حاجز بيني وبينها، وفي تفاصيل كانت بتسعدنا وأنا عارف كويس إنك اللي صنعت التفاصيل دي ومنحتها من روح حياة في قلبها وعقلها.

- بس أنا عرفت أن انتوا اتفقتوا على الخطوبة وهي كانت موافقة ومرحبة.

- كانت بتداوي جرح بجرح يا وحيد، كانت بتملئ بيا المساحة اللي أنت سببتها فاضية في حياتها لما أخذتك دنيك في القاهرة. ترضى لصاحبك يبقى مجرد شيء يسد فراغ يا وحيد؟

ما كانش فيه مشكلة أنها حبتك أو حلمت بالجواز منك ويا ما ده حصل وهيحصل زي ما أقنعت نفسي، بس منى صعب تنسك وهتفضل أنت بينها وبين أي واحد يدخل حياتها، وأنا تحديداً ما ينفعش أكون الواحد ده، لأنني عارف كل اللي كان بينكم، وكنت لو اتجوزتها هفضل شايفك وسطنا حتى وأنت مش موجود. مين يستحمل كده يا وحيد؟

- مسكينة منى، اتظلمت.

- يمكن أنت تكون ظلمتها، بس أنا لأ، لأنني لو اتجوزتها كنت

هظلمها أكرتر لما أحس بوجودك بينا فاضطر أطلبها.

- والله يا يوسف ما حد عارف مين اللي ظلم مين، قدر بيرميننا  
لقدر وإحنا مستسلمين وما عندناش خيارات.

\*\*\*

في غياب وحيد لأيام فقط، شعرت فرح بافتقاد ما لم تتبين  
مبعثه في البداية، ورغم أن والدها بجوارها، كانت تحس بأن  
مساحة فارغة بينهما.

فكرت في الأمر حين تكرر إحساسها في كل مكان تخرج إليه  
مع والدها، حتى اهتدت إلى أن وحيد هو الغائب على غير عادته  
منذ فترة.

لم ترتح في البداية لوصولها إلى هذه النتيجة، إذ تضاربت  
بداخلها المشاعر والأفكار. قلقت من أن تكون ظلال حسن شحبت  
إلى حد سمح لها بأن تشعر بغياب شخص آخر غيره، لكنها  
ذكرت نفسها بأنها تمضي في حياتها منذ غاب، تعمل وتخرج  
وتتعامل مع الناس.

صحيح أن ذلك ليس بالشكل الذي كانت عليه قبل رحيله، لكنها  
في كل الأحوال استوعبت حقيقة الرحيل وأن الأقدار تبدل مواضع  
البشر في معادلات الحياة التي لا يزعم أحد أنه يعرف نتائجها.

شعر والدها، وهما يسيران على شاطئ النيل بالقرب من بيت  
المعتربات، بأن أمراً يشغلها، سألها وهو يعرف الإجابة لكنها لم  
تجب بحقيقة ما يعتمل داخلها.

تذرت بالإرهاق من تراكمات الفترة الماضية، فأسعده أنها تتعلل بأمر عضوي، لأن ذلك يعني أن فرجة انفتحت في جدار الروح فحفظت عنها عبء الفترة القاسية التي عاشها الجميع، وهي في القلب منهم.

اقترح عليها أن تأخذ إجازة وتسافر معه لتستريح قليلاً في دمياط، لكنها رفضت بإصرار بدالاً مبرر له. تحجبت بموضوعات يجب أن تنهئها ولا يمكن معها ترك القاهرة حالياً، فباغتها بسؤاله عن وحيد:

- امتى يرجع وحيد؟

- مفروض بكره، هو ما بيتأخرش في البلد.

- إيه رأيك لما يبجي نعزمه في دمياط كام يوم، الراجل تعبان معانا بقاله فترة، ممكن نساfer كلنا وتبقوا ترجعوا مع بعض.

- اللي تشوفه يا بابا.

كان ينتظر هذا الجواب، لكنه لم يعلق عليه خشية أن يغرقها في مزيد من المشاعر المتضاربة، فما يعنيه أن تهدي إلى ما تريد على مهل وألا تتأثر بخجل منه أو تأنيب لنفسها وهي تسمح لوحيد بالنفاز إلى حياتها على نحو يختلف عما كانت عليه علاقتهما خلال الفترة التي عرفته فيه.

طالبها فقط بأن تنهي موضوعاتها بسرعة وأن تفكر في

برنامج للفسحة في دمياط، فليس معقولاً أن يبقوا حبيسي البيت خلال الإجازة.

حينما عاد وحيد إلى القاهرة، كان الانشغال بادياً عليه. سألته فرح إن كان أحد من أهله تعرض لمكروه فطمأنها، لكنه مع إلحاحها أخبرها بقلقه على منى.

انزعجت من ظهور منى مرة أخرى في حياته، لكنها حاولت ألا تبدي له ذلك. استجمعت كلماتها لتسأله عن سبب قلقه على منى فحكى لها ما حدث لها مع صديقه يوسف وما قاله له عن تسببه فيه.

طلبت فرح من وحيد ألا يحمل نفسه فوق طاقتها ويبقى أسير ذنب لم يرتكبه في حق منى، بل رأت أنه حين فضّ العلاقة بينهما حماها وحمى نفسه من مصير مآله الفشل ما دام تبين وقتها أن ما بينهما لا يمكن وصفه بالحب.

وجدها وحيد فرصة ليناكفها فذكرها بما حدث منها في المطعم وكيف اتهمته بالاستسلام للرمادية في حياته وتركه أمر إنهاء علاقته بمنى لأبيه.

تأسفت لذلك وحاولت أن تزيل أي رواسب في نفس وحيد من هذا الموقف فقالت إنه كان سبباً في زيارتها لمنزله في المحلة حيث عثرت على حسن وصالحته.

وجدت نفسها وهي تسرح في التفاصيل متأرجحة بين شخصين: حسن الغائب بجسده، الحاضر بحجم ما أحبته وبنت كل آمالها عليه حتى انهارت برحيله، ووحيد الذي يزيح بقايا صديقه من روحها تدريجيًا، لكنها لا تستطيع تسمية ما يربطها به ولا تعلم ما يخبئه لها الأقدار.

نبهها وحيد إلى أنها غابت عنه وتوقفت عن الكلام، وهو يعلم أنها كانت في حضرة حسن، فاعتذرت قبل أن تغير الموضوع كليًا وتعرض عليه اقتراح والدها بأن ينزل ضيفًا عليه في دمياط لأيام، فاستراح للفكرة لكنه حاول التعلل بالعمل وبالإزعاج الذي يمكن أن يسببه للأسرة، فأكدت له أن والدها لن يقبل عذرًا، فالأمر بالنسبة له منته، فوافق.

\*\*\*

قضى وحيد أسبوعاً في دمياط في ضيافة أسرة فرح، تخرج أولاً من المبيت في المنزل وحاول البحث عن فندق رخيص، لكن رأفت منصور عارض ذلك بشدة مؤكداً لوحد أنه يتفهم حرجه كفلاح، لكنه مثل ابنه ولا غضاضة في وجوده معهم.

وقطعاً للحرج، قال رأفت منصور لوحد إنه سيبيت معه في غرفة فرح، بينما تنام هي في غرفته مع والدتها.

لم يشعر وحيد بغربة في المنزل، كان النهار ينقضي في صحبة رأفت منصور و فرح ووالدتها في التنزه ببعض الأماكن في دمياط، وقضوا يوماً كاملاً في رأس البر.

وفي السهرات، قصدوا بعض المقاهي وبعد العودة إلى المنزل كان رأفت منصور يسأل فرح أن تضع واحداً من شرائط الفيديو المتراسة على أرفف أعلى التلفزيون، وتدور بينهم مناقشات حول الفيلم، وتعقبها مباراة في الطاولة.

لفت نظر وحيد حرص رأفت منصور قبل النوم على القراءة، لكن وحيد كان ينشغل كل ليلة بشعور غامض يداهمه وهو في غرفة فرح.

كان يشعر بدفء غريب وبهجة وهو يطالع على الحائط صورها في مراحل مختلفة من عمرها، وجهها يزداد جمالاً كلما تقدمت في العمر، لكنها دوماً تحتفظ ببريق عينيها.

كانت تغادر إطارات صورها وتتقافز طفلةً بينه وبين والدها في السرير ثم تكبر قليلاً فلا يتسع لها المكان بينهما فتتركه إلى أرضية الغرفة تقلب في مجلات أو تلاعب عرائسها القطنية، ثم تجلس، وهي في الثانوية العامة إلى مكتبها بجدية لا تنال من جمال ملامحها، ثم ترتب حقيبتها محاطة بقلق والديها استعداداً للسفر إلى القاهرة للدراسة، ثم يتوارى القلق قليلاً وهي تغادر لارتباطها بعملها في المجلة.

لاحظ رأفت منصور انشغال وحيد بصور فرح ولم يعلق، كان يتركه في كل ليلة غارقاً في رحلته معها حتى ينام.

قبل أن يكتمل الأسبوع، أراد وحيد الاطمئنان على والديه، استأذن في الاتصال بهما من منزل رأفت منصور وردت أمه على الهاتف متلهفة لسماع صوته معاتبه على غيابه عنهما.

انتظرت أن يتحجج بالعمل فتعفو عنه كما في كل مرة تلومه، لكنها صمتت حين أخبرها أنه في منزل فرح، فلم يعرف إن كانت منزعة أو مستغربة، لكنها على كل حال ختمت المكالمة بشكل عرف منه أبو وحيد الجالس بجوارها أنها تضايقت من أمر ما.

أعطت له السماع طالبة منه أن يتحدث إلى وحيد الجالس في بيت فرح، لكنه لم يستغرب، بل طلب من ابنه أن يدعو أسرة فرح إلى بيتهم رداً لجميل استضافته.

كان عبد السلام يستشعر أمراً ما يربط ابنه بفرح، لكن رواسب

موضوع منى وتوابع غياب حسن لم توفر فرصة لفتح الموضوع  
بينهما ولو من بعيد، ولأنه بعيد عن تطوراته لم يعرف إلى أين  
وصل، لكنه الآن أدرك النقطة التي بلغها.

طلب عبد السلام من وحيد أن يعطي السماعه لرأفت منصور  
ليدعوه بنفسه إلى زيارة منزله ويشكره على إحاطة وحيد برعايته  
خلال وجوده معهم في دمياط فرحب الرجل.

رحبت فرح بالدعوة لكنها طلبت أن تسافر ووحيد إلى القاهرة  
أولاً حتى لا يتغيبا طويلاً عن العمل على أن يتقابلا مع والدها  
بعدها في المحلة.

\*\*\*

في اليوم التالي لوصولهما إلى القاهرة، أبلغ موظفو الأمن فرح خلال وجودها في المجلة بأن زائرين يسألان عنها وعن وحيد. سألت عن هويتها ففوجئت بأنهما والدا حسن نادر.

طلبت من موظف الأمن ان يسمح لهما بالصعود، وحين وقفت لاستقبالهما على باب صالة التحرير صدمت من الوهن البادي عليهما.

لم تكن رأتها من قبل لكنها أدركت أن فجيعة رحيل حسن فعلت بهما ما يجاهدان لاحتماله. احتضنتها والدة حسن طويلاً ودموعهما لا تتوقف ثم طلبت أن تحتضن وحيد فلما ألقى نفسه بين ذراعيها تواصل بكاؤها ونحيبها وهي تقول في وهن: اوعوا تكونوا نسينوا حسن يا حبايبي.

كان والد حسن أكثر هدوءاً، سلّم على فرح ووحيد قبل زوجته وانسحب بهدوء إلى قلب الصالة يجول بناظره في المكان الذي احتضن ابنه وأحلامه قبل أن تلقيهما الأقدار في حريق المسرح.

كان المكتب ذهب لزميل جديد لم يمح كل بقايا حسن وبينها صورة تجمعه بفرح ووحيد في إحدى المناسبات.

استندت الأم إلى ذراعي فرح حتى جلست أمام مكتبها تنظر

إلى زوجها واقفاً أمام مكتب ابنها وخلفه وحيد يسأله أن يستريح.

شحنة البكاء التي خرجت من والدة حسن وانشغالها برد تحايا زملائه الذين تناوبوا في السلام عليها وزوجها وتعزيتهما، جعلتها تهدأ قليلاً، لكنها باغتت الجميع وهي تنظر إلى فرح.

- إزيك يا عروسة ابني؟

ارتبك كل الحضور وحاول والد حسن أن يخفف من وقع السؤال وهو يعيده على فرح لكن بطريقة أخرى:

- إزيك يا بنتي عاملة إيه؟

سبقت السؤال نظرات بين فرح ووحيد الذي اختلطت في عينيه آيات التعاطف والضييق، لكنه بدا متماسكاً وطلب للضيفين كوبي ليمون أملاً في أن تهدأ أعصابهما، وطلب لنفسه ولفرح قهوة.

تلعثمت فرح وهي ترد على والدة حسن شاكرة لله كل الأحوال، بينما تربت على كفها وتساءلها بدورها عن أمورها وأحوال الأهل في الصعيد.

انشغل وحيد بوالد حسن وتبادلاً أيضاً السؤال عن الأحوال حتى أتى موظف البوفيه بالمشروبات ووزعها كما طلب منه وانصرف.

بقيت والدة حسن تتأمل وجه فرح بشكل أخطأها قبل أن تفاجئها مرة أخرى:

- يا زين ما اختار ابني، بس يا خسارة ربنا اختاره بدري قبل ما نفرح بكم.

رددتها مرات قبل أن تدخل في نوبة بكاء انهارت معها فرح فتدخل والد حسن يهدئ زوجته ويعتذر عن أقوالها التي لم تعد تستطيع السيطرة عليها منذ فجعت بابنها، خاصة أن آخر اتفاق بينهما أن يصحبها إلى القاهرة لرؤية فرح.

هدأت الأم وهي تأسف لهذا الحزن الذي تشيعه في المكان، وفاجأت فرح مجدداً بالقول إنها أتت خصيصاً لرؤيتها لعلها تحقق آخر أمنيات الراحل، وإنها استراحت الآن بعد أن فعلت ذلك، بل سعدت برؤية وحيد صديقه الذي كان يذكره بالخير دائماً.

قام وحيد ليقبّل رأسها، بينما اعتصمت فرح بصمت لا علاقة له بنار داخلها أشعلتها والدة حسن وهي تستعيد حضوره في هذا المكان الذي شهد على الكثير مما جمعهما، وفي الوقت نفسه أمام وحيد الذي اعتقدت أنهما بدأ معاً مرحلة جديدة.

اعتذر والد حسن عن أي إرباك سببها لهما ولزملائهما واستأذن في الانصراف قبل أن يلح وحيد عليه في البقاء ليتناولوا الغداء معاً فاعتذر لارتباطهما بزيارة بعض الأقارب في القاهرة قبل أن يعودا إلى الصعيد.

أوصلهما وحيد إلى خارج المبنى وقبّل رأسيهما قبل أن يستقلا السيارة، ولما تحركت بهما عاد إلى المجلة فوجد عيني فرح

مٲبٲٲٲن عٲى مكٲب حسن ٲٲى إنٲها لم ٲشعر بعوٲٲه فجمع  
ٲاؒٲاٲه وؒاؒر.

\*\*\*

كانت أم وحيد حين اتصل بها من منزل فرح تنوي إخباره بموعد زفاف منى، لكن والده حين عرف مكانه أشار لها ألا تتحدث معه في الموضوع.

بعد المكالمة سألت أم وحيد زوجها عن سبب عدم إخبار ابنهما بموضوع زواج منى القريب، فاكتفى بالقول إنه لا داعي لذلك، فمعرفة لن تقدم ولن تؤخر.

لم يستغرق أمر ارتباط منى وقتاً، طلبها واحد من شباب القرية يعمل في لبنان ويريد الزواج خلال إجازته بعد أن رشحتها له إحدى قريباته.

قريبة العريس فاتحت أم منى في الأمر فأبدت رفضاً لأنه حاصل على دبلوم صنايع، لكنها لم تحسم الأمر لأن القرار النهائي في يد زوجها.

رفض فتحي بشكل قاطع حين عرضت عليه زوجته الأمر، مستغرباً أن يكون عريس منى بهذا المستوى، حتى إن كان مقتدرًا، بعد أن كانت هدفًا لصحفي ومن بعده خريج آداب، كما أنه لن يرضى بأن تكون ابنته مجرد اختيار عابر لشاب مغترب يجلس على المقهى خلال الإجازة ليختار عروسًا لا يربطه بها أي شيء وهو واثق أن إمكانياته ستفتح له باب القبول.

وسأل زوجته عن عمل هذا الشاب في مصر إذا أجبرته الظروف على إنهاء عمله في لبنان في أي وقت.

المفاجأة أن منى خرجت من غرفتها معلنة من غير مقدمات موافقتها على العريس. زهل والداها من رأيها، لكنها لم تترك لهما فرصة الاستفسار عن مبرراته، إذا سألتها مباشرة عما جنته من نذر نفسها لصحفي أو الأمل في صديقه خريج الآداب غير الخيبة والانكسار المرة بعد الأخرى، وأنه ما دامت خسرتهما فلن تشعر بفارق إن كان العريس حاصلًا على دبلوم صنایع أو غيره، يحبها أو أعجب بجمالها وقرر أن يباهي بها بمؤهلهما وأصدقائه ويعلن انتصاره على منافسين له من حملة المؤهلات العليا.

لم يستطع فتحي أن ينظر إليها، بينما راحت والدتها تقنعها بأن الله يدخر لها الأفضل وأن مسائل القسمة والنصيب لا يمكن التدخل فيها، لكنها كانت حسمت الأمر وتشبثت بالعريس.

انغرس سكين في قلب فتحي وأخذ يتمتم وهو خارج من الدار: يا خراب بيتك يا فتحي.. زرعتك خابت، يا خراب بيتك يا فتحي.. زرعتك خابت.

عادت منى إلى غرفتها تحبس دموعها، بل تحبس نفسها في انتظار المخلص، بينما نهضت والدتها تنادي زوجها وتسأله عن وجهته فلم تتلق ردًا.

قصد فتحي بيت صديقه حامد الذي كان يجلس على «المصطبة»

أمامه فنهض لاستقباله منادياً على زوجته أن تعد شايًا. أخبره فتحي أنه لا وقت للشاي ولا الجلوس، طالبًا منه أن يرافقه إلى بيت عبد السلام.

بان القلق على وجه حامد خاصة مع اضطراب وجه فتحي فسأله عن الأمر. سار فتحي صامتًا، فقط يستحث صديقه أن يسرع الخطى، كان يريد أن يلقي النار التي في جوفه في وجه عبد السلام.

أمام باب عبد السلام ناداه حامد فخرج إليهما مرحبًا به وبفتحي. قادهما إلى غرفة الجلوس ونادى أم وحيد أن تجهز الشاي.

كان فتحي مطأطأ الرأس، وحامد ينظر إليه صامتًا، فشعر عبد السلام بالقلق ولم يحتمل استمرار الصمت.

- خير يا رجالة؟ مالكم مش على بعضكم ليه؟

لم يدع له فتحي فرصة إكمال تساؤله ورفع رأسه صارخًا:

- منك لله أنت وابنك يا عبد السلام، حرقوا زرعتي وهتقعدوني بحسرتي عليها.

استغرب حامد وعبد السلام وتبادلا النظرات التي قطعها فتحي:

- يرضيك أنت وابنك أقعد عمري أربي في البنت وأعلمها تعليم عالي والآخر يبجي عيل من اللي مسافرين لبنان وما حدش عارف

له شغلانة يتجرأ ويطلبها للجواز؟ ابنك اللي مالکش كلمة عليه وصاحبه يمرجحوها ويتسلوا بيها لغاية ما يخلوها بضاعة يتفرج عليها واحد قاعد على القهوة ولا قدام دكان الحلاق فينط الحاجز اللي بينه وبينها ويعريها في الشارع بعينه اللي متابعاها ويشاور صحابه فيبيعت واحدة قرييته تطلبها؟

بدأ الغضب يحكم سيطرته على وجهه فتحي ونبرته تعلو فخاف عليه حامد وحاول أن يتدخل، لكن عبد السلام كان الأسرع فقام إلى صديقه يحتضنه ويقبل رأسه.

- اهدى يا افتحي ووحده الله.

- لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

- أنت عارف إن منى طول عمرها بنتي وأنت أخويا، والنسب لو كان حصل كان هيقوي اللي بينا، لكن دلوقت لما اتقطع النصيب ما ينفعش نزع من بعض.

- أنا مش عارف أنا زعلان منك ومن ابنك وصاحبه ولا على نفسي وبنتي واللي بيجرالها، المصيبة إنها موافقة على الواد ابن إبراهيم العيساوي اللي عايز يجوز بسرعة في إجازته.

- إزاي موافقة؟

تدخل حامد وقد اطمأن إلى أن فتحي بدأ يتخلص من غضبه وأن ضيقه من موضوع ابنته لن يفسد علاقته، مستغرباً أن توافق

منى على هذا العريس وعدم تقديرها، وهي العاقلة بما يكفي، لتبغات وجود فوارق بينهما في التعليم.

سأله فتحي بأسى:

- فوارق إيه يا حامد، جرحها مرتين خلاها حاسة إنها أقل من أي بنت. لا الاتفاق بينها وبين وحيد نفعا، ولا الدراسات العليا اللي قربتها من يوسف وصلتها لحاجة، يبقى إيه الفرق بينها وبين واحدة عادية بتتجوز جوازة عادية.

وضع عبد السلام يده على كتف صديقه مواسياً وحاول طمأنته إلى أن منى ستلاقي كل سعادة لأنها تستحقها وأن نصيبها الجيد سيصيبها.

كانت أم وحيد أعدت الشاي، لكنها آثرت بعد أن سمعت جانباً من الحوار بين فتحي وحامد عبد السلام أن تؤجل إدخاله، ولما استعجلها زوجها استمهله دقائق، فاقترح حامد أن يتناولوه في المقهى لعل الهواء في الطريق إليه يزيل بعضاً مما في النفوس.

بعد ذلك، لم يفلح فتحي في إثناء منى عن قرارها، بل صدت عبد السلام حين حاول التدخل، ودفع إلحاح العريس إلى أن تمضي الأمور إلى زواج سريع استعرض فيه العريس إمكانياته المالية وسهر الكفر في الفرحة حتى الفجر.

\*\*\*

منذ أن غادر المجلة بعد زيارة والدي حسن، لم يعد وحيد إليها أيامًا.

لم تعرف فرح أنه عاد بعد توصيلهما ولم تشعر به، لكنها لما طال تأخره اضطرت للذهاب إلى بيت المغتربات، متوقعة أن يكون أصر على توصيلهما إلى وجهتهما أو الجلوس معهما في مكان ما.

اختفى وحيد أيامًا عرفت روحه فيها مجددًا ضياع البدايات، تبدد كل ما وصل إليه وأحس بوجع افتقاد حسن نادر. وجد نفسه ذا صباح يتصل بالهباش.

- إيه أخبار شقة الهرم؟

قهقه الهباش، واصفًا وحيد بـ «الفقري» واستغرب تذكره شقة الهرم.

لم يجارِه وحيد في المزاح وطالبه بأن يرتب سهرة مع رفاق شقة الهرم الذين فرقتهم مسارات الحياة، فوعده أن يدع الأمر لرابح، لأنه لا يزال على صلة بهم جميعًا.

سأله الهباش إن كان اشترى هاتفًا محمولًا، فأجابه بأنه لا يزال كائنًا أرضيًا وليس مهتمًا بشراء هاتف محمول، لأنه ليس رجل

أعمال مثله.

ضحك الهباش وقال مازحًا إنه لا يملك غير خمسة جنيهات  
كالعادة.

- ارحمنا من الخمسة جنيهه، بقيت مليونير ولسه بتدعي الفقر.  
عمومًا هتصل بيك أنا على آخر النهار تقول لي ممكن نتجمع  
هناك إمتى.

في المساء أخبره الهباش حين اتصل به بأن الشلة جاهزة  
للاجتماع في السهرة بشقة الهرم.

وجدهم وحيد جميعًا إلا حسن فبكى وقصد أقرب كرسي،  
فصمت الجميع فترة قبل أن يصرخ فيهم الهباش.

- هي هتبدأ كده، إحنا متجمعين عشان نعيط؟

رمقه وحيد بنظرة معاتبة حاول تفاديها وتبرير ما قاله.

- حسن كان حبيينا كلنا الله يرحمه، خلاص هو في مكان  
أحسن، ندعي له بالرحمة والحياة مش هتقف.

بعدها أخرج الهباش من كيس أسود زجاجات نبيذ وقصد  
المطبخ وعاد بعدة أكواب وبدأ يصب فيها ويوزع على الموجودين.  
رفض وحيد تناول الكوب منه رغم الإلحاح فطلب رابع من الهباش  
تركه على راحته مؤكدًا أن سيلف له سيجارة حشيش.

رابح هذه المرة أكثر استقرارًا بعد أن عمل مع الهباش وتخلص من سطوة خالد راضي التي استسلم لها نجيب المنشاوي خاصة بعد أن تزوج وأنجب طفلة. أما حازم البلقاسي فتزوج ناقدة تكبره بعشرين عامًا وعاش معها في شقتها واشترت له سيارة وطبعت له ديوانين، بينما غاب مؤمن قنديل في قريته شهورًا قبل أن يملها عائداً إلى القاهرة ليعمل حارس أمن في شركة سياحة، وعندما يوشك على الجنون يلوذ بالعود يعزف لشركائه في السكن أو لأصدقائه عندما يجتمعون.

أنهى وحيد سيجارة الحشيش فعاجله رابح بالثانية ولما دخنها سحب زجاجة نبيذ وصبّ لنفسه قبل أن يطلب من مؤمن أن يعزف لهم.

صفق الجميع لمؤمن بمجرد أن احتضن العود، لكنه رأى ألا يكتفي بالعزف.

- أنا هعزف مين هيغني.

- أنا.

استغرب الجميع مبادرة وحيد إلى الغناء، لكنهم صفقوا له أيضاً فنظر إلى مؤمن قائلاً خليك معايا، أنا هغني:

«وفي ابتسامي وآلامي

بنادي عليك

وفي سهادي ومنامي

بنادي عليك

وفي سكوني وكلامي

بنادي ليك

روحي وروحك سوى هايمين في دنيا الخيال

غنينا لحن الهوا والشدو بينا وصال

والنظرة بينا قبل وسكون وهمس وكلام

والحب من غير أمل أسمى معاني الغرام».

علت الصيحات هذه المرة تشجع وحيد على الغناء، لكن دموعه

كانت أسبق، فلم يستطع أن ينطق بجملته. منحه رابح سيجارة

أخرى التهمها بسرعة وعاد إلى الغناء:

«وفي ابتسامي وآلامي

بنادي عليك

وفي سهادي ومنامي

بنادي عليك

وفي سكوني وكلامي

بنادي ليك

روحي وروحك سوى هايمين في دنيا الخيال

غنينا لحن الهوا والشدو بينا وصال

والنظرة بينا قُبل وسكون وهمس وكلام

والحب من غير فرح أُسمى معاني الغرام».

وأخذ وحيد يكرر السطر الأخير «والحب من غير فرح أُسمى معاني الغرام» وهو يبكي كطفل ضائع، فساعده الهباش على النهوض وانصرفا.

\*\*\*

اتصلت فرح وهي في طريقها إلى المجلة بأبيها تخبره بغياب وحيد لأيام، سألتها إن كان شيء وقع بينهما فنفت، لكنها روت له تفاصيل زيارة والدي حسن لهما في المجلة، فصمت..

سألها إن كانت سألت عنه أو اتصلت به في الكفر، فصمتت بدورها. طالبها بالرد فبكت ثم علا نحيبها وهي تسأله إن كان يتذكر ما حدث بعد أن غضب منها حسن بسبب ما قالت له لوحد في المطعم، وكيف تبعته إلى الكفر، فكيف كانت النهاية؟

أكدت أنها لن تكرر التجربة ولن تتشبت بوحد بالقدر الذي

فعلته مع حسن خوفاً من أن تأكله النار مثله.

طالبها بالهدوء محبباً أن تأخذ إجازة لأيام وتساfer إلى دمياط  
فرفضت، فرد بأنه سيأتيها وأن عليها أن تحافظ على توازنها  
وتتعامل مع الأمور بتعقل.

بعد ساعات فوجئت بالهباش يزورها في المجلة. رحبت به  
بينما راح يتأمل المكان الذي جمعه كثيراً بحسن ووحيد.

استفسر عن أحوالها وعملها، مؤكداً أنه ينتظر عودتها إلى  
موضوعاتها الجاذبة التي اعتاد عليها قراؤها في المجلة وأن تلجأ  
إليه في أي أمر تحتاجه.

مثل زيارته المفاجئة جاء استفساره عن معاناة وحيد التي باح  
بها رغماً عنه في شقة الهرم:

- ماله وحيد يا فرح؟

- ماله؟ في حاجة حصلت؟

- من كام يوم سهرنا مع بعض وحسيت إن نفسيته مش  
مستقرة.

- سهرتوا فين؟

- في شقة الهرم.

- وهو معتكف هناك ولا إيه؟

- لا، وصلته يومها لسكنه.

نهضت فرح فجأة وطلبت من الهباش أن يصحبها إلى سكن  
وحيد، ولما لم تلتفت لاستغرابه تبعها صامتاً.

حينما وصل إلى السكن طلبت منه أن يصعد لإحضار وحيد  
حيث تنتظره على المقهى القريب.

بصحبة الهباش، عاد وحيد يبدو عليه الإجهاد، إجهاد يملأ  
روحه فيفيض على قسماط وجهه.

كانت فرح تود معاتبته والصراخ فيه مرة ثانية كما فعلت معه  
في المطعم من قبل بعد أن لاحظت أنه عاد إلى المنطقة الرمادية.

اكتفت بنظرة عتاب يغلفها الحب والتردد، فهي الأخرى، كما  
قالت لنفسها، فوق جسر طويل من الرمادية لن يعيدها إلى حسن  
ولا تعرف حتى الآن إن كان سيوصلها إلى وحيد.

أدرك الهباش أن حواراً مكتوماً بينهما سينفجر فاستأذن في  
الانصراف.

لم تطق فرح البقاء في المقهى، أحست بالاختناق فسألت وحيد  
أن يتحركا إلى ميدان التحرير فغادرا يرافقهما الصمت.

في قلب الميدان الواسع أحسا - وهما يقصدان مقعدين على  
جانبيه- بضيقه كدائرة صغيرة تكاد تطبق على عنقيهما.

حاولت فرح الإفلات من الإحساس بوحشة المكان والشعور،  
وضعت يدها برفق فوق يده كأنها تحتمي به، فاضت من عينيها  
الأسئلة لكنها لم تجد في عينيه إجابة.

لعنت ضعفه وتردده قبل أن تنكأ الجرح الذي يفتersh روحه:

- وبعدين يا وحيد؟

- وبعدين إيه؟

- بتحبني ولا لأ؟

- بحبك، بس من غير أمل.

- مش ده اللي بيقولوا عليه أسمى معاني الغرام؟

- بيقولوا، بس يفضل من غير أمل.

- ليه؟

تنهد وحيد وهو يستجمع قواه ليخرج من روحه نارًا تكويه قبل  
أن ينظر إليها بأسى ويأس:

- إحنا مكتوب علينا التيه، قدرنا نطارد سراب، كل واحد  
بيجري عليه من طريق فنتفرق وكلنا في النهاية نرجع عطاشى  
مجروحين. كأن البلد دي بتبخل علينا بحاجة تبل ريقنا. تايهين  
وحاسين بالضالة في شوارعها الواسعة.

- هنرمي كل جروحنا على البلد، في إيدينا نوسع الطريق  
ونعيش زي اللي عاشوا قبلنا وهيعيشوا بعدنا.

- مش هنقدر نعمل ده من غير ما نصرخ بأعلى صوت، من غير  
ما نثور ونلعن خيبتنا.

- تعالى نصرخ ونكتب خلاص روحنا، إيه اللي هيحصل؟  
هيقولوا علينا مجانيين؟ وإيه يعني.

- مش هنقدر نصرخ طول ما الجمر في حلوقنا.

- بس مش هيقدر الجمر يمنعنا نحب، ولا نصرخ، أنا بحبك يا  
حسن.. بحبك يا حسن، بحبك يا حسن...

كانت تدور وهي تصرخ بحب حسن بينما يزداد المارة  
المتحلقون حولها لا يعرفون إن كانت مجنونة أو سكرانة أو  
تملكها الحب فأفقدتها عقلها..

وجدت نفسها وسط دائرة لا تعرفها، انتبهت إلى ما فعلت،  
فتشت في الوجوه عن وحيد فلم تجده، كان تركها وألقى نفسه  
في جمر الشوارع.

\*\*\*\*\*

الشارقة

ديسمبر 2019